المبحث الثاني

جهود الإمام القرافي في الرد على اليهود

وفيه مطالب:

المطلب الأول: اليهود وتسمياتهم.

المطلب الثاني: التوراة وبيان الإمام القرافي ما فيها من تحريف.

المطلب الثالث: موقف اليهود من النسخ ورد القرافي عليهم.

المطلب الرابع: إنكار اليهود نبوة عيسى -عليه السلام- ورد القرافي عليهم.

المطلب الخامس: النعيم الأخروي عند اليهود، وموقف القرافي منه.

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الأول
اليهود وتسمياتهم

اليهود هم قوم موسى -عليه السلام-، وكتابهم التوراة، ولغتهم -الأصل- العبرية.

وقد اختلف في سبب تسميتهم بهذا الاسم:

فقيل: سموا بذلك لقول موسى -عليه السلام-: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فسموا بذلك؛ لأنهم رجعوا عن عبادة العجل إلى عبادة الله تعالى[(١)]، والدلالة اللغوية للاسم تؤيد هذا الرأي.

فقد جاء في «لسان العرب»: «الهَوْد: التوبة، هاد، يهود، هودًا، وتهود: تاب إلى الحق، فهو هائد، وفي التنزيل: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾؛ أي: رجعنا إليك... وسميت اليهود يهودًا اشتقاقًا من هادوا، أي: تابوا»[(٢)].

وفي «القاموس المحيط»: «الهَوْد: التوبة، والرجوع إلى الحق، وبالضم - الهُود-: اليهود، وهَوَّده: حوله إلى ملة يهود، وتهود: صار يهوديًّا»[(٣)].

وقيل: سموا بذلك؛ لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة[(٤)].

وقيل: سموا بذلك؛ نسبة إلى يهوذا، أكبر ولد يعقوب -عليه السلام-، وإنما قالته العرب بالدال للتعريب؛ لأنهم إذا نقلوا أسماء من العجمية إلى العربية

---

(1) يراجع: الملل والنحل (١/ ٢١٠)، تاريخ الملل والنحل، لأمين الخولي (٢/ ١٦٦). ط/ مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.

(2) لسان العرب (٣/ ٤٥٩)، مادة: هود.

(3) القاموس المحيط (٤٢٠) مادة: هود.

(4) ينظر: تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٦)، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة (ص١٢، ١٣).

يغيرون بعض حروفها.

يقول البيروني: «وإنما سمي هؤلاء اليهود؛ نسبة إلى يهوذا -أحد الأسباط-، فإن الملك استقر في ذريته، وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة، كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب»[(١)].

هذا، وأكثر ما ترد هذه التسمية في القرآن الكريم في معرض اللوم، والنقد لليهود.

ومن تسمياتهم: العبريون أو العبرانيون (Hebrews).

وقد اختلف في سبب تسميتهم بالعبرانيين، فذهب البعض إلى أنهم سموا بذلك نسبة إلى (عابر) الجد الخامس لإبراهيم -عليه السلام-، فقد جاء في سفر التكوين في نسب إبراهيم عليه السلام: «إبرام بن تارح بن ناحور بن سَروج بن رَعُوَة بن فالج بن عابر»[(٢)].

وذهب البعض إلى أنهم سموا بذلك نسبة إلى إبراهيم -عليه السلام- الذي كان يسمى عبريًّا أو عبرانيًّا؛ لأنه عبر نهر الفرات، أو نهر الأردن من (أور) بالعراق -موطنه الأصلي- إلى الأرض المقدسة.

ومن تسمية إبراهيم -عليه السلام- بالعبراني ما جاء في سفر التكوين:

---

(1) تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٧)، ويراجع أيضًا: اليهود واليهودية، د. السيد أحمد فرج (ص١٩)، دار الوفاء، المنصورة، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ.

(2) سفر التكوين، الإصحاح (١١)، الفقرات (١٥- ٢٧).

يراجع: اليهودية د/ أحمد شلبي (ص٢٦)، مكتبة النهضة المصرية، ط/ الثانية ١٩٦٧م، تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٨).

«فأتى من نجاد وأخبر إبرام العبراني»[١].

ويذهب إسرائيل ولفنسون[٢] إلى أن هذه التسمية: نشأت عن لون الحياة الأولى لهذا الشعب؛ وذلك لأن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بحثًا عن الماء والرعي، وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي: عبر، بمعنى قطع مرحلة من الطريق، أو عبر الوادي، أو النهر من عَبْره إلى عبْره، أو عبر السبيل؛ أي: شقها، وكل هذه المعاني موجودة في الفعل سواء في العربية أو العبرية.

فالكلمة -عنده- في مجملها تدل على التجول أو التنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي؛ أي: ساكن الصحراء أو البادية، وقد كان الكنعانيون[٣] والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين؛ لعلاقتهم بالصحراء، وليميزوهم عن أهل

(1) سفر التكوين، الإصحاح (١٤)، الفقرة (١٢).

(2) مستشرق ألماني يلقب بأبي ذؤيب، درس اللغة السامية بدار العلوم، ثم بالجامعة المصرية، له تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، تاريخ اللغات السامية، موسى ميمون حياته ومصنفاته، يراجع: المستشرقون، لنجيب العقيقي (٢/ ٤٦٠)، دار المعارف، ط/ الرابعة.

(3) الكنعانيون: ينسبون إلى كنعان بن نوح، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، وكنعان مكان بأرض الشام، وكلمة كنعان تعني الأرض المنخفضة، وقد استخدم اسم كنعان في أول الأمر، للدلالة على غربي فلسطين، ثم أصبح اللفظ علمًا على ما هو متعارف عليه جغرافيًّا بأرض فلسطين. وتطلق الأدبيات الدينية اليهودية على كنعان اسم... إرتس يسرائيل؛ أي: أرض إسرائيل. يراجع: معجم البلدان (٤/ ٣٨٣)، موسوعة اليهود واليهودية د/ عبد الوهاب المسيري (٤/ ١١٥، ١١٦)، دار الشروق، القاهرة، ط/ أولى، ١٩٩٩م.

العمران[١].

وقريب من هذا الرأي رأى من قال: إنهم سموا بذلك نسبة إلى عبور إبراهيم الدائم؛ أي: ترحاله المستمر من مكان إلى مكان[٢].

ولأجل هذا المعنى -حياة البدو والترحال- يطلق عليهم البعض اسم الخابيرو (Chabiru)؛ أي: القبائل من البدو، وقد ذكرت هذه الكلمة في النقوش المصرية في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر قبل الميلاد، لتعني العابر، والمتجول والبدوي.

وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي على التشابه الصوتي بين الكلمتين (عبيرو) العبرانية، و(خابيرو)، وعلى اتفاق التقاليد الواردة في أسفار موسى الخمسة على الخبيريين[٣].

ويذهب البعض إلى أن اسم العبري أو العبراني ليس خاصًّا باليهود وحدهم، وإنما هو يضم كل القبائل السامية التي كانت منتشرة في سوريا وكنعان وبلاد الرافدين[٤]، وإنما سمي اليهود بذلك من باب إطلاق العام على الخاص[٥].

وأرى أن هذه التسمية وإن اختلف في تعليلها إلا أن مضمونها واحد، وهو إطلاقها على نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليه السلام-، وهذه

---

(1) اليهودية (ص٣٦)، تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٦)، اليهود واليهودية (ص١٠).
(2) اليهود واليهودية (ص١٠).
(3) يراجع: موسوعة اليهود واليهودية (٤/ ١١٣، ١١٤).
(4) بلاد الرافدين: بلاد العراق، سميت بذلك لوجود رافدين بها، وهما دجلة والفرات. يراجع: معجم البلدان (٣/ ٢٧٣).
(5) يراجع: موسوعة اليهود واليهودية (٤/ ١١٢).

التعليلات يصح اعتبارها جميعًا، فلا مانع من أن يسموا عبرانيين نسبة إلى إبراهيم -عليه السلام- الذي عبر النهر، وتجول في البلاد هو وذريته من بعده، الذين هم من نسل عابر، جد إبراهيم عليه السلام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اسم عبري أو عبراني لم يرد في القرآن الكريم، ولكن ورد في السنة النبوية مرادًا به لغة اليهود العبرية، أو لغة الإنجيل العبرية، ومن ذلك ما روي عن عائشة -رضي الله عنها-: «... **فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني...**»(١).

وجاء عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ...»(٢).

ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدينة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري، وأصبحوا يؤثرون كلمة بني إسرائيل(٣).

ومن أسمائهم: بنو إسرائيل:

سموا بذلك نسبة إلى أبيهم إسرائيل يعقوب بن إسحاق -عليهما السلام- وكلمة إسرائيل مكونة من مقطعين (إسرا) و(ئيل)، ومعنى (إيل) عند جميع

---

(1) أخرجه البخاري، ك: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي لرسول الله ﷺ؟، حديث رقم (٣)، صحيح البخاري (ج١/ ٣)، وأخرجه مسلم، ك: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، حديث رقم (٢٥٢)، صحيح مسلم (ج١/ ١٣٩)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبخاري.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، باب: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»، حديث رقم (٤٢١٥)، صحيح البخاري (٤/ ١٦٣٠) عن أبي هريرة.

(3) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة (ص١٤).

العلماء «الله» أما «إسرا»، فقيل: معناها: عبد، ويكون معنى الكلمة: عبد الله، وقيل معناها: القوي بالله، والقادر بالله، وقيل معناه: المجاهد مع الله، وهذا ما يعنيه اليهود بهذه التسمية (المجاهد مع الله).

ويعتمدون في تأييد زعمهم هذا على قصة توهموها وكتبوها في توراتهم المحرفة، وهي ما جاء في سفر التكوين: «فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس، وقدرت»[(١)].

والسبب في أنهم يفضلون التسمية ببني إسرائيل عن العبرانيين ما يلي:

١- أن بني إسرائيل اسم تحضري، بخلاف العبرانيين، فإنه صفة من العبور والترحل الدائم، وعدم الاستقرار، وهذه صفة البداوة.

٢- وصفهم بالعبرانيين يشعرهم بالدونية والعبودية التاريخية للمصريين.

٣- أنه اسم ديني في معتقدهم؛ لأن «إيل» معناه «الله»، فهم -بزعمهم- بوصف أنفسهم بالإسرائيليين ينسبون إليه.

ويتصل بهذا العامل عامل عنصري؛ إذ إن بني إسرائيل هم السلالة الوحيدة الشريفة في يهود، ومن ثم رغبوا في انتساب الأشتات التي تجمع منها اليهود إليها[(٢)].

---

(1) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٢٤- ٢٩).

(2) يراجع: اليهود واليهودية (ص١٥).

ومن صفاتهم: المغضوب عليهم: وهذه التسمية لصقت بهم منذ جاء الرسول ﷺ بالشريعة الخاتمة.

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الثاني
التوراة وبيان الإمام القرافي
ما فيها من تحريف

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: التوراة.

المسلك الثاني: موقف الإمام القرافي من التوراة المحرفة.

obeikanal.com

المسلك الأول
التوراة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: التوراة وأسفارها.

الفرع الثاني: نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام.

obeikandl.com

الفرع الأول
التوراة وأسفارها

تمهيد: الكتاب المقدس وأقسامه:

الكتاب المقدس يشمل التوراة والأناجيل ورسائل الرسل، وتسمى التوراة -أسفار موسى الخمسة وغيرها- كتب العهد القديم، وتسمى الأناجيل ورسائل الرسل كتب العهد الجديد.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «اعلم أنهم يقسمون كتب العهد العتيق والجديد إلى قسمين: قسم منها يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى -عليه السلام-، وقسم منها يدَّعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى -عليه السلام-، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني يسمى بالعهد الجديد ومجموع العهدين يسمى (بيبل)، وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب»[(١)].

ومصطلح العهد القديم (Old testament)، وضعه أولاً بولس الرسول، فهو مصطلح مسيحي، يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس، بينما يستخدمون مصطلح العهد الجديد (New testament) للإشارة إلى الأسفار التي تضمنتها الأناجيل الأربعة، وإلى أعمال الرسل ورسائلهم، أما اليهود أنفسهم فيستخدمون عبارة (سيفرها قودش) أو (كتبي هاقودش)؛ أي: الكتب المقدسة، ويستخدمون أحيانًا تعبير (كتوفيم)؛ أي: الكتب، وأحيانًا يطلقون عليه الكتاب العبري (The hebrewbible)، أو الكتاب (The

(1) إظهار الحق، لرحمة الله الهندي (١/ ٥٥)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٦هـ، ويراجع: محاضرات في النصرانية، للشيخ/ محمد أبو زهرة (ص٣٧)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

bible)، وأحيانًا أخرى يستخدمون لفظ (المقرا)؛ أي: المقروء، كما يعبرون اختصارًا عن العهد القديم، وأقسامه بالتناخ، وهي تسمية عبرية تعني التوراة والأنبياء والمكتوبات، وهي تتكون من الحروف الأولى لهذه الأسماء الثلاثة في اللغة العبرية[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن التسمية بالعهد القديم غير مقبولة عند اليهود؛ لأن فيها إشارة إلى أن العهد المعطى لبني إسرائيل عهد قديم، حَلَّ محله عهد جديد معطى للأمة المسيحية[٢].

(1) يراجع: تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٤٢)، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، د. محمد خليفة حسن (ص٩)، ط/ ١٤٨٧هـ، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٤).
(2) مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم (ص٩).

obeikandl.com

التوراة

التوراة (Torah) كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل (توريه) بمعنى: يعلم أو يوجه، وهي كلمة عبرية تعني الشريعة، أو التعاليم التي أوحى الله بها إلى موسى -عليه السلام-، فهي في أصل إطلاقها لا تطلق إلا على أسفار موسى الخمسة «التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية».

وهي في العبرية تسمى التوراة، وفي اليونانية تسمى البنتاتيك (Pentateuch)؛ أي: المؤلف المكون من خمسة أجزاء، وأحيانًا يطلق عليها: اسم الناموس؛ أي: القانون(١).

لكن اتسع معناها ليشمل مجموع كتب العهد القديم، يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «التوراة لفظ عبراني، بمعنى التعليم والشريعة، وقد يطلق ذلك اللفظ على مجموع كتب العهد العتيق مجازًا»(٢).

أسفار التوراة:

التوراة بمعناها المجازي (العهد القديم) تشمل تسعة وثلاثين سفرًا، نذكرها لاحتياج دراستنا إلى معرفتها، وهي:

١- سفر التكوين، ويسمى سفر الخليقة.

٢- سفر الخروج.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، لمجموعة من الأساتذة واللاهوتيين (ص٩٧٨)، من منشورات مكتبة البعل، بيروت، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، ط/ السادسة، ١٩٨١م، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي (ص٢٩)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط/ الأولى ١٩٩٦م.

(2) إظهار الحق (١/ ٥٥).

openkandil.com

٣- سفر اللاويين، ويسمى سفر الأحبار.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التثنية أو الاستثناء.

٦- كتاب يوشع بن نون.

٧- كتاب القضاة.

٨- كتاب راعوث.

٩- سفر صموئيل الأول.

١٠- سفر صموئيل الثاني.

١١- سفر الملوك الأول.

١٢- سفر الملوك الثاني.

١٣- السفر الأول من أخبار الأيام.

١٤- السفر الثاني من أخبار الأيام.

١٥- السفر الأول لعزرا.

١٦- السفر الثاني لعزرا، ويسمى سفر نحميا.

١٧- سفر إستير.

١٨- كتاب أيوب.

١٩- زبور داود.

٢٠- أمثال سليمان.

٢١- كتاب الجامعة.

٢٢- كتاب نشيد الإنشاد.

٢٣- كتاب إشعياء.

٢٤- كتاب إرميا.

٢٥- مراثي إرميا.

obeikandi.com

٢٦- كتاب حزقيال.
٢٧- كتاب دانيال.
٢٨- كتاب هوشع.
٢٩- كتاب يوئيل.
٣٠- كتاب عاموص.
٣١- كتاب عوبديا.
٣٢- كتاب يونان.
٣٣- كتاب ميخا.
٣٤- كتاب ناحوم.
٣٥- كتاب حبقوق.
٣٦- كتاب صفنيا.
٣٧- كتاب حجيَّ.
٣٨- كتاب زكريا.
٣٩- كتاب ميلاخيا[1].

وهذه الأسفار التسعة والثلاثون، هي ما يسمى بالتوراة العبرية، لكن هناك توراة بأيدي السامرة[2] تختلف عن هذه التوراة، فهم لا يسلمون من هذه

(1) الكتاب المقدس (ص١)، دار الكتاب المقدس بإشراف المركز العالمي للكتاب المقدس في جبل الزيتون، القدس.

(2) السامرة: فرقة من اليهود يقولون: إن مدينة القدس هي نابلس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى -عليه السلام- وبعد يوشع بن نون، ولا يقرون بالبعث ألبتة، وهم بالشام لا يستحلون الخروج منها. يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٩٨، ٩٩)، دار الندورة الجديدة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ، لسان العرب (٤/ ٣٧٦).

الأسفار إلا سبعة كتب فقط، الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام-، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة[١].

وتخالف نسخة توراتهم توراة اليهود، ويزعمون أن توراتهم هي المنزلة، ويقطعون بأن التي بأيدي اليهود العبرانيين محرفة ومبدلة، وسائر اليهود يقولون: إن التوراة التي بأيدي السامرة محرفة ومبدلة[٢].

ومما يتصل بموضوعنا -الأسفار المقدسة- نظرة النصارى والمسلمين إلى هذه الأسفار.

أما عند النصارى:

فيختلف ترتيب العهد القديم عند الكاثوليك عنه عند البروتستانت، فالكاثوليك يعترفون بهذه الأسفار ويزيدون عليها أسفار «طوبيا، الحكمة لسليمان، سفر المكابين الأول، سفر المكابين الثاني، يهوديت، الكهنوت، سفر الحكمة ليشوع بن سراخ، باروخ)، ويعتبرونها من التوراة المقدسة.

وأما البروتستانت فإنهم لا يعتبرون تلك الأسفار الزائدة مقدسة، فهي في نظرهم لا تمت إلى العهد القديم بصلة، وهم بذلك يوافقون العبرانيين[٣].

وأما عندنا نحن المسلمين:

فلا نشك في أن التوراة بمعناها القرآني قد أنزلت على موسى -عليه السلام- كما لا نشك في أنه بلغها، وعلمها بني إسرائيل.

---

(1) هذا ما ذكره رحمة الله الهندي، في إظهار الحق: (١/ ٥٦) ولكن بمراجعة التوراة السامرية وجدتها تحتوي على أسفار موسى الخمسة فقط.

(2) يراجع: إظهار الحق (١/ ٥٦).

(3) يراجع: اليهودية (ص ٢١٥، ٢٢٩، ٢٣٠)، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٥) (٩٠، ٩١).

والإسلام يعترف بالتوراة التي أنزلها الله على موسى، ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم، فسفر يشوع، وسفر القضاة والملوك، وغيرها ليست من الكتب المقدسة في نظر الإسلام[١].

فنحن -المسلمين- لا نؤمن بكتاب ولا رسول إلا ما أخبرنا به رسولنا ﷺ، ولا يعني ردنا لهذه الاسفار ألا أننا لا نجرؤ على الإيمان بكتاب لم يصدقه نص من كتاب ربنا أو سنة رسولنا، يقول ابن حزم: «كما أننا لا نقطع بصحة نبوة شموال وحقاي وحبقوق وسائر الأنبياء الذين عندهم، ولكن نقول: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فلا ندخل في أنبياء الله تعالى من ليس فيهم بأخبار اليهود والنصارى الكاذبة... فنحن نؤمن بالأنبياء جملة، ولا نسمي منهم إلا من يسمي محمد ﷺ فقط»، وقد فصل جميع الأنبياء الذين لم ينص عليهم بعد موسى -عليه السلام[٢].

موضوعات الأسفار المقدسة:

تضم الأسفار المقدسة موضوعات كثيرة، ومتعددة، تتفاوت في الحجم والأسلبو والأسفار المقدسة تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

١- التوراة أو أسفار موسى الخمسة.

٢- أسفار الأنبياء.

٣- المكتوبات[٣].

---

(1) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٠١/ ٢٠٣) وما بعدها. اليهودية (ص٢٣٢)، اليهود واليهودية (ص٧٥).

(2) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٢٠٣)، ويراجع: اليهودية (ص٢٣٢).

(3) يراجع: اليهودية (ص٢١٤، ٢١٥)، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٤، ٨٥).

موضوعات الأسفار الخمسة:

١- سفر التكوين (Gonesis):

وهذا يسمى في العبرية (بريشيت) بمعنى: البدء، وهي أول كلمة ترد في السفر، سمي بسفر التكوين لاشتماله على قصة خلق العالم وخلق الإنسان الأول، بالإضافة إلى أنه يشتمل على قصة الخطيئة التي ارتكبها آدم -عليه السلام-، ثم حياة أولاده من بعده -إسحاق ويعقوب- وأولاد يعقوب، وخاصة يوسف -عليه السلام-، وبموت يوسف ينتهي هذا السفر.

٢- سفر الخروج (Exodus):

يسمى في العبرية شيموت؛ أي: الأسماء، إشارة إلى أول كلمة وردت فيه، ويسمى باليونانية واللاتينية (Exodus)، وسمي سفر الخروج؛ لتناوله خروج بني إسرائيل من مصر.

وفيه أيضًا بالإضافة إلى ذلك قصة بني إسرائيل بعد يوسف -عليه السلام- ، وما عانوه من الفراعنة، وظهور موسى -عليه السلام-، وفيه أيضًا الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى، وفيه كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية.

٣- سفر اللاويين (Levticus):

يسمى في العبرية «فايقرا»؛ أي: دعا أو نادى، وهي الكلمة التي يبدأ بها السفر، وكان في الماضي يعرف باسم «توراة كوهانيم»؛ أي: شريعة الكهنة، وفي اليونانية واللاتينية يسمى (Levticus)؛ أي: لاويين نسبة إلى أسرة لاوي بن يعقوب -عليه السلام.

وهو يحتوي على كثير من التشريعات والوصايا والأحكام، مثل: كفارات الذنوب، والأطعمة المحرمة، والأنكحة المحرمة، والطقوس، والأعياد،

والنذور، والطهارة وغيرها[١].

٤- سفر العدد (Numbers):

يسمى بالعبرية «بميدبار»؛ أي: في البرية؛ إشارة إلى أول كلمة في السفر، وفي اليونانية واللاتينية (Numbers) سمي بهذا الاسم؛ لأنه يشمل في معظمه إحصاء قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم، وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم.

ويشمل بالإضافة إلى ذلك أحكامًا تتعلق بعدد من العبادات والمعاملات، كما أن فيه كثيرًا من التنظيمات والتعاليم الكهنوتية والاجتماعية والمدنية.

٥- سفر التثنية (Deuteronomy):

يسمى في العبرية «هد بريم»؛ أي: هذا هو الكلام؛ إشارة إلى أول كلمة في السفر، وفي اليونانية واللاتينية (Deuteronomy).

فيه تشريعات لم تذكر في الأسفار السابقة، وفيه نبوءات عن النبي ﷺ. وفيه تعرض الوصايا العشر عرضًا جيدًا، كما يتكلم عن الأطعمة الحلال والحرام، وعن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل، كما يتكلم عن انتخاب يشوع بن نون خلفًا لموسى -عليه السلام-، وينتهي بخبر وفاة موسى -عليه السلام[٢].

(1) يراجع: اليهودية (ص٢١٧- ٢١٩)، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم (ص١٧، ١٨)، موسوعة اليهود واليهودية (ص٩١، ٩٢)، نقد التوراة، لأحمد حجازي السقا، (ص٢٥) وما بعدها، مكتبة الكليات الأزهرية، ط/ ١٩٧٦م.

(2) يراجع: موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٩١، ٩٢) نقد التوراة (ص٣٧- ٣٩)، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم (ص١٧/ ١٨).

موضوعات أسفار الأنبياء:

القسم الثاني من العهد القديم: هو أسفار الأنبياء، وهو قسمان: **الأول**: الأنبياء الأُوَلُ: وهذا القسم يحتوي على تاريخ اليهود بعد موسى إلى أسر بابل، ويضم أسفار «يشوع -يوشع بن نون-، القضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني».

والثاني: الأنبياء المتأخرون: ويشمل الأسفار الآتية: «إشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل صَفَنيا، حجَّى، زكريا، مِلاخي». وتحتوي هذه الأسفار على وصايا مختلف الأنبياء الذين يحويهم العهد القديم، باستثناء كبار الأنبياء المشار إلى تعاليمهم في كتب أخرى[1].

موضوعات المكتوبات:

القسم الثالث من أسفار العهد القديم هو ما يسمى بالمكتوبات، ويشتمل على أسفار «المزامير، أيوب، الأمثال، راعوث، نشيد الإنشاد، الجامعة، المراثي، استير، دانيال، أخبار الأيام الأول والثاني».

وتحتوي هذه الأسفار على مجموعة أناشيد ومواعظ معظمها ديني، مؤلفة تأليفًا شعريًّا في أساليب بليغة، وتحتل المزامير المقام الأول في هذه الأسفار؛ حيث إنها الصرح الشامخ في الشعر العبري، وتحتوي على المدائح والتأملات والتضرعات.

أما سفر الأمثال: فيحتوي على أقوال سيدنا سليمان، وحكماء آخرين في بلاطه.

---

(1) يراجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٣٨)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد علي البار (ص١٦١)، دار/ القلم، دمشق، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.

وسفر الجامعة: يحتوي حديثه على السعادة الدنيوية، والحكمة[١].

وسفر استير: أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بني إسرائيل.

وأخبار الأيام الأول والثاني: يحويان محتويات لا تختلف كثيرًا عما ورد في أسفار موسى الخمسة، ففيها حديث عن ولادة آدم وأولاده، وفيها إحصاء لبني إسرائيل حتى عهد داود وسليمان، وفيها حديث عن ملوك بني إسرائيل بعد الانقسام حتى السبي.

وأما سفرا عزرا ونحميا: فهما أقدم الأسفار التي تتحدث عن اليهود في المنفى، وبالجملة فهما سلسلة متكاملة مستقلة تشمل تاريخ العالم من آدم إلى عزرا[٢].

وأما سفر دانيال: فهو يتكلم عن سبي نبوخذنصر[٣] لبني إسرائيل، وما جرى لهم في فترة سبيهم[٤].

(1) يراجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٣٩، ٤٠).
(2) يراجع: اليهودية من (ص٢٢٢ إلى ص٢٢٤).
(3) هو المعروف ببختنصر، الذي كان حاكمًا لبلاد بابل من قبل ملك فارس، وسار بأمره إلى الشام فصالح ملكها، وترك عنده رهائن، ولكن أهل الشام ثاروا على ملكهم واتهموه بمهالأة بختنصر وقتلوا الرهائن فلما علم بختنصر بذلك عاد إليهم فأخرب بيت المقدس وديار الشام وأجلى اليهود وفعل بهم الأفاعيل، يراجع: إعجام الأعلام، لمحمود مصطفى، دار الكتبة العلمية، بيروت، ط/ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
(4) يراجع: اليهودية: (ص١٧٠).

obeikandl.com

الفرع الثاني
نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام

يعتقد اليهود والنصارى أن التوراة الموجودة بأيديهم هي الموحى بها إلى موسى، وأنه كتبها بيده.

فقد جاء في التلمود[١] أن موسى -عليه السلام- كتب التوراة -أسفار موسى الخمسة- والجزء الخاص عن بلعام، وسفر أيوب[٢].

ويذكر بعض الباحثين[٣] عن النصارى قولهم: إن أول أمر لكتابة الوحي صدر لموسى النبي عقب انتشار الوثنية في العالم، فكان ذلك قبل المسيح بنحو ١٥٠٠ عام، وقد تلقى الوحي بكتابته وسط وعور سيناء.

يقول موريس بوكاي[٤]: «ظلت اليهودية والمسيحية تعتبران أن موسى -

---

(1) بجانب أسفار التوراة (٣٩ سفرًا) روايات شفوية تفسيرية للتوراة، هذه الروايات تناقلها الحاخامات، ورجال الدين من جيل إلى جيل، وهذه الروايات هي التي تعرف بالتلمود، وبعد موت المسيح بمائة وخمسين سنة جمعت هذه الروايات الشفوية في كتاب سمي بالمِشنا (الشريعة) خوفًا من الضياع، ثم زيدت إضافات وحواشي على المشنا سميت باسم (الجمارا)، فالتلمود اجتهاد بشري يتكون من (المشنا والجمارا) في مقابل الوحي الإلهي، (التوراة).
يراجع: اليهودية (ص٢٤٩، ٢٥٠)، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٣)، الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد عبد الله الشرقاوي (ص١٣)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ ١٤٤٢هـ.

(2) موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ١٠١).

(3) هو الدكتور يحيى محمد علي ربيع في كتابه «الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف» (ص٧١)، دار/ الوفاء، المنصورة، مصر، ط/ الأولى، ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م.

(4) مستشرق فرنسي، ولد بفرنسا ونشأ بها، وتعلم الطب، ومارس الجراحة حتى سن التقاعد، تعلم في الخمسين من عمره اللغة العربية؛ للاطلاع على ما في القرآن الكريم من آيات العلم والخلق، توفي سنة ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م. له: «ما أصل الإنسان؟»، =

عليه السلام- نفسه هو كاتب التوراة... أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تمامًا»[١].

لكن ما ذهب إليه اليهود والنصارى لم يسلمه المسلمون، وعدد كثير من علماء اليهود والنصارى.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «فلا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبي، أو حواري أنه إلهامي، أو واجب التسليم، كذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم، بل نحتاج إلى دليل... وتفحصنا في كتب الإسناد لهم، فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين... فلا سند لهذه التوراة المنسوبة إلى موسى، فلا تكون من تصنيفاته»[٢].

وإذا انتقلنا إلى الباحثين من غير المسلمين وجدنا ألفريد مارتن يتشكك في نسبة التوراة إلى موسى، ويرى أن هذا الأمر ليس موضع تحقيق بالنسبة للمسيحي المؤمن بالكتاب المقدس[٣].

ويقول داكتْر سكندر كيرس الذي هو من الفضلاء المعتمدين في دراسة الكتاب المقدس: «ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزمًا:

الأول: أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى.

=

«أجوبة العلم» وغير ذلك. يراجع: إتمام الأعلام «ذيل لكتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي»، د/ نزار أباظة، محمد رياض المالح (ص٤٤٦)، دار/ صادر، بيروت، ط/ ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م.

(1) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٢٩، ٣٠).

(2) إظهار الحق (١/ ٦٢).

(3) يراجع: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (ص٦٨).

obeikandl.com

والثاني: أنها كتبت في كنعان أو في أورشليم، يعني ما كتبت في عهد موسى، الذي كان فيه بنو إسرائيل في الصحاري.

والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود ولا بعد زمان حزقيال، بل أَنْسِبُ تأليفه إلى زمان سليمان -عليه السلام-؛ يعني: قبل ألف سنة من ميلاد المسيح. فالحاصل: أن تأليفها بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى»[(١)].

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية تحت اسم (توراة) أن العلم العصري، ولا سيما النقد (الألماني) قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة، والتاريخ، وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى[(٢)].

ويقول ول ديورانت[(٣)] عن التوراة الحالية: «إنها اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق. م»[(٤)]؛ أي: بعد موسى عليه السلام بزمن بعيد.

لكن: هذه دعوى لا تقبل إلا بدليل، ولذا لا بد من ذكر أدلة تؤيد ما رفضه المسلمون وغيرهم، وإلا عاد الرفض على ما قالوا.

الأدلة على أن اليهود بدلوا التوراة وغيروها:

١- جاء في سفر التثنية: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مواب

---

(1) ينظر: إظهار الحق (١/ ٦٠).

(2) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (ص١٠٠).

(3) فيلسوف أمريكي، ولد في نورث أدمز بولاية ماساشوستس بأمريكا، نال جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٦٨م، توفي يوم السبت ٧/ ١١/ ١٩٨١م. له: دروس التاريخ، قصة الفلسفة، مناهج الفلاسفة وغيرها. يراجع: أعلام أجانب، د. محمد خير رمضان يوسف (ص١٢٥، ١٢٦)، دار/ ابن حزم، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٦هـ.

(4) قصة الحضارة: ول يورانت (٢/ ٣٦٨)، ترجمة/ محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مواب مقابل بيت فَغُور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم»[١].

يقول ابن حزم (ت ٤٥٦هـ): «هذا آخر توراتهم، وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام، ودليل قاطع، وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلف، كتبه لهم من تخرص بجهله، أو تعمد بفكره، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته، وقوله: «لم يعرف إنسان قبره إلى اليوم» بيان لما ذكرناه كافٍ، وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل الأبد»[٢].

ويذكر الأب ديفو (Devoux) مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس، وكان قد كتب مقدمة عامة لأسفار موسى الخمسة، قدم بها لسفر التكوين سنة ١٩٩٢م. ذكر فيها أنه في القرن السادس عشر، أشار كارلتشاد (Carlstadt) إلى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات[٣].

٢- جاء في سفر التكوين: «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك... فأخذ أبرام ساري امرأته، ولوطًا ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا، والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان... وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض»[٤].

وجاء في نفس السفر: «وكان الكنعانيون والفرِّزيون حينئذٍ ساكنين في

---

(1) سفر التثنية، الإصحاح (٣٤)، الفقرة (٦).
(2) الفصل في الملل والنحل (١/ ١٨٦).
(3) يراجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٣٠، ٣١).
(4) سفر التكوين، الإصحاح (١٢)، الفقرات (١، ٥، ٦).

openkanal.com

الأرض»[(١)].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «فالجملتان المذكورتان تدلان على أن الآيتين المذكورتين ليستا من كلام موسى -عليه السلام-، ومفسروهم يعترفون بأن هذه الجملة «والكنعانيون حينئذٍ في الأرض» وكذا الجمل الأخرى في مواضع شتى ملحقة لأجل الربط... في وقت جمع الكتب المقدسة»[(٢)].

والسبب في أنها ليست من كلام موسى -عليه السلام-: أن هذه النصوص تدل على أن الكاتب كتبها بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان، وبنو إسرائيل لم يستولوا عليها في زمن موسى، وإنما في زمن طالوت وداود -عليه السلام-؛ أي: بعد موسى[(٣)].

وهذه الآيات استلفتت نظر ابن عزرا النصراني (Jbnezra) أحد كبار علماء النصارى في حوالي سنة ١١٦٧م. مما جعله ينادي بأن واضع هذه النصوص ليس موسى، بل هو شخص آخر، فتراه يقول: «كان الكاتب يتحدث بعد ترك الكنعانيين للأرض، الأمر الذي لم يكن تحقق في أيام موسى؛ لأن موسى لم يدخل في أرض كنعان أبدًا»[(٤)].

٣- جاء في سفر الخروج: «وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة، حتى جاءوا إلى أرض عامرة، أكلوا المن، حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان»[(٥)].

فهذا يدل على أن المن قد منع عنهم بعد أن نعموا به أربعين سنة، والمن لم

(1) سفر التكوين، الإصحاح (١٣)، الفقرة (٨).
(2) ينظر: إظهار الحق (١/ ٢٥٢).
(3) يراجع: نقد التوراة (ص٦١)، اليهود واليهودية (ص٧٦).
(4) اليهود واليهودية (ص٧٤).
(5) سفر الخروج، الإصحاح (١٦)، الفقرة (٣٥).

يمنع عن بني إسرائيل طوال سني موسى عليه السلام، ولم يمنع إلا في عهد يشوع[١].

ويدل على ذلك ما جاء في سفر يشوع: «فحلّ بنو إسرائيل في الحلجال، وعملوا الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء في عربات أريحا، وأكلوا من غلة الأرض في الغد بعد الفصح فطيرًا وفريكًا في نفس ذلك اليوم، وانقطع المن في الأرض عند أكلهم من غلة الأرض»[٢].

لذلك قال آدم كلارك في هذا الموضع: «ظن بعض الناس أن سفر الخروج كتب بعدما أمسك الله المن من بني إسرائيل»، ويدفع هذا الظن بقوله: «لكنه يمكن أن يكون عزرا ألحق هذه الألفاظ».

ويعلق الشيخ رحمة الله الهندي على كلامه قائلاً: «ظن الناس صحيح، واحتمال المفسر المجرد عن الدليل في مثل هذه المواضع لا يقبل، والصحيح أن الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى ليست من تصنيفه»[٣].

٤- جاء في سفر اللاويين: «ودعا الرب موسى، وكلمه من خيمة الاجتماع»[٤]، وأيضًا جاء فيه: «وكلم الرب موسى قائلاً»[٥]، وأيضًا جاء فيه: «هذه هي الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سيناء»[٦].

---

(1) يراجع: إظهار الحق (١٠/ ٢٥٠).
(2) يشوع، الإصحاح (٥)، الفقرات (١٠- ١٢) (ص٢٤٢).
(3) إظهار الحق (١/ ٢٥٠).
(4) اللاويين: الإصحاح: (١)، الفقرة: (١).
(5) اللاويين: الإصحاح: (٦)، الفقرة: (١).
(6) اللاويين: الإصحاح: (٢٧)، الفقرة: (٣٤).

يقول الشيخ رحمة الله الهندي معلقًا على هذه المواضع: «إن كاتب التوراة ليس هو موسى... ولو كانت التوراة من تصنيفاته لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعبر في موضع واحد؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار»[(١)].

وهذا القدر كافٍ لإثبات أن كاتب التوراة ليس موسى -عليه السلام-، لكن هذا الإثبات يفرض علينا سؤالين:

أحدهما: إذا لم يكن موسى عليه السلام هو الكاتب، فمن؟

والثاني: لم نسبت التوراة إلى موسى -عليه السلام- ما دام لم يكتبها؟

كاتب التوراة الحالية:

اختلفت كلمة علماء الأديان من المسلمين، وناقدي التوراة من غير المسلمين في تحديد: من كتب التوراة؟

فيذهب البعض إلى أن كاتب التوراة أشخاص عبرانيون، لم يذكروا أسماءهم، ولم تعرف أسماؤهم[(٢)].

وهذا الرأي -في نظري- غير مقبول؛ لأنه لو كتبها أشخاص غير معروفين، فمن بلغها بني إسرائيل ونشرها فيهم؟ ولا سيما أن التوراة كانت أحرقت، أحرقها بختنصر في أثناء غروه لهم، وأيضًا يضعف هذا الرأي ما سنذكره من شبه إجماع على أن الكاتب هو عزرا.

ويذهب آخرون إلى أن كاتب التوراة هو يرميا، وهذا الرأي علق عليه

---

(1) إظهار الحق (١/ ٦٤).

(2) يراجع: الكتب المقدسة بين الصحة التحريف (ص١٠٠)، اليهود واليهودية (ص٦٩).

صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق بقوله: «ولا دليل عليه»[(١)]، ويذهب البعض إلى أن كاتب التوراة هو حلقيا[(٢)].

لكن ما أجمع عليه علماء مقارنة الأديان من المسلمين، وناقدو التوراة من غير المسلمين، وأيدته الأدلة أن كاتب التوراة هو عزرا الوراق[(٣)]، كتبها في فترة

---

(1) الفارق بين المخلوق والخالق، للعلامة/ عبد الرحمن الباجه جي زاده (ص١٠)، مطالع البيان التجارية، ط/ ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.

(2) قصة الحضارة (٢/ ٣٥٦) وما بعدها.

(3) يذهب البعض إلى أن عزرا هو عزير الوارد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وممن ذهب إلى هذا: الإمام الجويني في «شفاء الغليل»، والباجي زاده في كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق»، ورحمة الله الهندي وغيرهم.
والصحيح: أنه ليس هو المذكور في القرآن الكريم، بل هو أحد كهان بني إسرائيل، حرف التوراة، وكتبها من تأليفه ومحفوظاته، أما عزير الوارد في القرآن الكريم، وأنه هو الذي مرَّ على القرية الخاوية على عروشها، فليس هو عزرا الوراق؛ لأن عزرا الوراق تحريفه للتوراة يدل على عدم مكانته، وأنه لم يكن من الصالحين، أما عزير الوارد في آية «البقرة» -كما هو رأي معظم المفسرين- ذكره في الآية يدل على كرامته على الله تعالى، إذ ما في الآية -إحياؤه بعد مائة عام من الموت- يدل على الولاية إن لم يكن نبيًّا.
يقول السموأل بن يحيى المغربي :«وعزرا ليس هو العزير كما يظن؛ لأن العزير هو تعريب لعازار، أما عزرا فإنه إذا عرب لم يتغير حاله؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف، ولأن عزرا عندهم ليس بنبي، وإنما يسمونه عزرا هوفير وتفسيره: الناسخ». بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموأل (ص١٥٢).
ويذهب ابن القيم إلى أن الأمر لا يعدو كونه مشاركة في الاسم فيقول: «ويظن بعض الناس أنه: ﴿ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ...﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ويقول: إنه نبي، ولا دليل على هاتين المقدمتين، ويجب التثبت في ذلك نفيًا وإثباتًا، فإن كان هذا نبيًّا واسمه عزير؛ فقد وافق صاحب التوراة في الاسم» [هداية الحيارى (ص١٤٣)]. وعزرا هذا كان موظفًا في بلاط الإمبراطور ارتحتشاد -ملك الفرس- ومستشارًا له في شئون الطائفة اليهودية، تمكن لثقة الإمبراطور به من أن ينال عفو =

السبي البابلي أو بعده بقليل، وأعانه على ذلك الكهنة.

يقول الإمام ابن حزم الظاهري: «ونحن نصف -إن شاء الله- حال التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم... إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبتهم واتفاق من علمائهم»[١].

ويقول محددًا وقت كتابتها: «وقد كانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها لهم إلا بعد نحو أربعين عامًا من رجوعهم إلى البيت، بعد السبعين عامًا التي كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم نبي»[٢].

ويقول السموأل -بعد أن ذكر أن بختنصر قتل الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة-: «فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيدهم الآن»[٣].

وما ذهب إليه علماء المسلمين أكده علماء اليهود والنصارى، فنجد سبنيوزا اليهودي[٤] يؤكد أن سفر التثنية ليس من كتابة موسى، بل هو من كتابة عزرا،

=

الإمبراطور عن اليهود، وسماحه لهم بالعودة إلى القدس، وإقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين، وكانت عودته باليهود حوالي سنة ٤٥٨ قبل الميلاد، قاموس الكتاب المقدس: (ص٦٢١).

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٨٧).

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٩٧).

(3) بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٣٩).

(4) فيلسوف عقلي ذو منزع صوفي، ولد بأمستردام بهولندا في سنة ١٦٣٢م، من أسرة يهودية وأصل برتغالي، وتعلم العبرية، ودرس اللاتينية والهندية، اشتغل بالفلسفة وخصوصًا

=

ويسوق الأدلة على ذلك[١].

ويحدد (ويلز)[٢] فترة وضع التوراة الحالية، وأنها وضعت بعد ضياع فيقول: «إن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل، وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد... والحقيقة المحددة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هي: أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا، وعادوا منا ممدنين... ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة، وليس هناك ما يدل على تعودهم على قراءة كتاب، وعادوا إلى وطنهم ومعهم شطر أكبر من مادة العهد القديم...»[٣].

وأما فرويد اليهودي: فيرى أن التحريف والتشويه قد أصاب التوراة، وبصفة خاصة أسفار موسى الخمسة، ويستقر على أن واضع التوراة هو عزرا ونحميا في القرن الخامس قبل الميلاد، لكن هناك نسخة وضعت قبل توراة عزرا، وضعها في زمن داود -عليه السلام- الكاهن إبجاتار (Ebjatar)[٤].

وكون عزرا هو كاتب التوراة، أيده علماء اللغات، إذ يقولون: «إن الخط العبري المستعمل عند اليهود في عصرنا الحاضر، كان ابتداء استمعاله من عصر عزرا الكاتب -ويطلقون على هذا الخط اسم الأشوري أو المربع-، أما الخط

=

فلسفة ديكارت، توفي في فبراير ١٦٧٧م، له: مبادئ فلسفة ديكارت، رسالة إصلاح العقل، وغير ذلك.

يراجع: موسوعة تراث الإنسانية، بقلم/ مجموعة من الأدباء والكتاب والعلماء (٢/ ٩٣٣) وما بعدها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

(1) يراجع: رسالة في اللاهوت والسياسة، لسبنيوزا (ص٢٧٨)، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، دار وهدان للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ.

(2) مستشرق إنكليزي، من آثاره: في مصر المعاصرة، وغير ذلك. المستشرقون (٢/ ٧٤).

(3) اليهودية (ص٢٣٨، ٢٣٩) نقلاً عن كتاب (Out line of History (Wells.

(4) يراجع: اليهود واليهودية (ص٧٦).

العبري القديم فإنه كان بخلاف هذا»[(١)].

ولكن:

إذا كان عزرا هو كاتب التوراة، فلم نسبت لموسى -عليه السلام؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: ذكر في سبب نسبة التوراة إلى موسى -عليه السلام- ما يلي:

١- نسبت التوراة إلى موسى؛ لأنها اهتمت به كثيرًا، وتحدثت عنه طويلاً، ولكن هذا السبب غير مقبول؛ لأن هذا لا يعني أنه هو الذي كتبها، فكونها اهتمت به وتحدثت عنه ليس غريبًا، بل قد يكون هذا سببًا في عدم كتابته لها؛ لأن حياة العظماء وسيرتهم يهتم بها غيرهم، لا هم، ولهذا كانت تفاصيل حياة سيدنا محمد ﷺ الواردة في كتب السير من كتابات أتباعه، ولا يمكن لواحد من المسلمين أن يدعي أن كتب السير وحي سماوي[(٢)].

٢- نسبت التوراة إلى موسى اعتمادًا على نصوص في التوراة أشارت إلى أن موسى كان كاتبًا، وأنه كتب التوراة، مثل ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني: «كما هو مكتوب في شريعة موسى»[(٣)].

وما جاء في سفر الخروج: «فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارًا في الكتاب»[(٤)].

---

(1) نقد التوراة (ص٧٦).
(2) يراجع: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (ص٨٢)، اليهودية (ص٢٣٦).
(3) الإصحاح (٢٣)، الفقرة (١٨).
(4) الإصحاح (١٧)، الفقرة (١٤).

obeikandi.com

وما جاء في سفر التثنية: «... كمل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب»[(١)].

وأرى أن هذا هو السبب الوجيه في نسبة التوراة إلى موسى، ولكن هذا السبب -إن سلمنا به- عاد بالبطلان على ما قررناه من أن موسى -عليه السلام- ليس هو كاتب التوراة.

وفي دفع هذه النصوص طريقان:

الطريق الأول: لا نسلم أن هذه النصوص من أصل التوراة، بل هي مقحمة في أصل التوراة؛ لأنه لما زاد كاتبو التوراة عليها نصوصًا، احترسوا من التصريح بها؛ خوفًا على أنفسهم من العوام، ولذلك نسبوها إلى موسى -عليه السلام-، فكانوا يقولون: كما هو مكتوب في شريعة موسى؛ لأن موسى هو أول مشرع عن الله لبني إسرائيل، وكل بني إسرائيل يعظمونه، ولا سبيل إلى إنكار هذه الدعوى؛ لأنه قد اعترف مفسرو الكتاب المقدس بأن هناك نصوصًا أقحمها كاتبو التوراة -كما سبق- فإذا اعترف في موطن انسحب الاعتراف إلى غيره، ولا فرق[(٢)].

الطريق الثاني: سلمنا بأن هذه النصوص من التوراة، ولكن لا نسلم أن هذه التوراة هي التي كتبها موسى؛ لأن التوراة التي كتبها موسى كانت صغيرة جدًّا، بحيث يمكن كتابتها على حجارة المذبح الذي بناه يشوع.

كما ورد في سفر يشوع: «حينئذٍ بني يشوع مذبحًا للرب إله إسرائيل... مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديدًا... وكتب هناك على هذه

(1) الإصحاح (٣١)، الفقرة (٢٤).
(2) يراجع: نقد التوراة (ص٨٣).

الحجارة نسخة توراة موسى»[١].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «فعلم أن حجم التوراة لو كتبت على حجارة المذبح لكان المذبح يسع ذلك، فلو كانت التوراة عبارة عن هذه الكتب الخمسة لما أمكن ذلك»[٢].

وأيضًا: أن موسى -عليه السلام- كتب التوراة وكتب منها ثلاث عشرة نسخة، أعطى لكل سبط من بني إسرائيل نسخة، ووضع نسخة بجانب التابوت، ثم إن هذه النسخ جميعها ضاعت وأحرقت فترة السبي البابلي لبني إسرائيل؛ حيث دمرت بيوتهم، وأحرق هيكلهم، وقتل عدد كبير منهم، هذا فضلاً عن أن تعرضهم للسبي كان أكثر من مرة، فكل هذا إذا وضع بجانب أنهم لم يكونوا يحفظون التوراة، دل على أن التوراة التي كتبها موسى تلفت وضاعت[٣]. والله أعلم.

(1) الإصحاح الثامن، الفقرات (٣٠- ٣٣).
(2) إظهار الحق (١/ ٦٦).
(3) يراجع: نقد التوراة (ص٨٦- ٨٩).

obeikandl.com

المسلك الثاني
موقف الإمام القرافي من التوراة المحرفة

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: إثبات ضياع التوراة.

الفرع الثاني: إثبات أن التوراة محرفة.

الفرع الثالث: بيان ما في التوراة مما ينافي جلال الربوبية.

الفرع الرابع: بيان ما في التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء -عليهم السلام.

الفرع الخامس: بيان ما في التوراة من وصف الملائكة بما لا يليق.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفرع الأول
إثبات ضياع التوراة

يقول الإمام القرافي: «إن أحبار اليهود يعلمون علمًا يقينيًّا أن هذه التوراة ليست هي المنزلة على بني إسرائيل بعينها».

ثم يذكر الأدلة على ذلك:

الدليل الأول: يتخذ الإمام القرافي -من قصر موسى عليه السلام- التوراة على بني هارون وحدهم، ثم قتل بختنصر للهارونيين بكثرة دليلاً على أن التوراة المنزلة قد ضاعت.

وذلك قوله: «والسبب: أن موسى -عليه السلام- صان التوراة عن بني إسرائيل، ومنعها منهم، وخص بها الهارونيين أولاد ليوي، وذلك قول التوراة: «ويحنتوب موشى آت هنورا هزوت ونبيناه ال كهوا هكوا هنيم بني ليوي»[(١)]، وتفسيره: وكتب موسى هذه التوراة وأعطاها لأمة بني إسرائيل، وكان بنو هارون الأئمة وقضاة اليهود وحكامهم[(٢)].

ولم يبذل موسى لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: (ها ازينو) وذلك

---

(1) في الترجمة الحالية للتوراة: «فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدًا عليكم»، سفر التثنية ، الإصحاح (٣١)، الفقرة (٢٤- ٢٧)، وفي سفر الخروج: كيفية تقديم موسى -عليه السلام- لبني هارون على غيرهم من بني إسرائيل، الإصحاح (٤٠)، الفقرة (١٢- ١٥)، والإصحاح الثامن عشر من سفر العدد، يتحدث عن اختصاص بني هارون بتقديم الكهنوت، وحراسة جمع أقداسِ بني إسرائيل على طول الدهر.

(2) الأجوبة الفاخرة (ص٧٨).

قول التوراة: «ويحتوب موشى آت مشيرا هزوت ويلميداه لبني إسرائيل»[(١)]، وتفسيره: وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل.

وهذا دليل على أن موسى لم يعطِ بني إسرائيل إلا هذه السورة، ولم يكن بنو إسرائيل يعلمون من بقية التوراة شيئًا، ثم إن الهارونيين الذين خصوا بالتوراة -أولاد ليوي- لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنة، بل كان الحفظ منهم لبعضها يقع بطريق الاتفاق، وعلى سبيل الفضيلة، كما يحفظ المسلمون التواريخ وغيرها، ليكون لهم فضيلة بين الناس، لا أنهم مأمورون بها شرعًا.

ثم يطالبهم القرافي بدليل من التوراة إن خالفوا في ذلك فيقول: «فإن كابروا في ذلك نطالبهم بنقل خلافه من التوراة فلا يجدونه».

ثم يقول: «ثم قتل بختنصر الهارونيين على دم يحيى بن زكريا، وكان أصل هذا أن يحيى بن زكريا -صلوات الله عليهما- أنكر على ملك بني إسرائيل في زمانه زواجه لابنة امرأته فضرب عنقه[(٢)]، ودفن، فبقي كلما ردم فار الدم، حتى

---

(1) في سفر التثنية قال موسى لبني إسرائيل: «اجمعوا لي كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض... فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب». الإصحاح (٣١)، الفقرة (٣٨)، والإصحاح (٣٢)، الفقرة: (١- ٤٤).

(2) في إنجيل متى أن الملك القاتل ليحيى (يوحنا المعمدان)، هو: هيرودس، والسبب أن يوحنا كان ينكر عليه زواجه من زوجة أخيه هيروديا، وفي مولد هيردوس رقصت ابنة هيروديا بين يدي هيرودس، فسُرَّ بذلك، وأعجبته حتى أقسم أنها مهما طلبت أعطاها، فطلبت بإيعاز من أمها رأس يوحنا على طبق، فوفى لها بما طلبت. متى، الإصحاح (١٤)، الفقرات (١- ١٢)، العهد الجديد، دار الكتاب المقدس، بدون تاريخ.
ولا يتعارض هذا مع ما ذكره القرافي؛ لاحتمال أنه كان يريد الزواج من زوجة أخيه، وتزوجها، ثم أعجبته ربيبته، فأراد أن يتزوجها ، وأنكر عليه يحيى -عليه السلام- في المرتين.

قدم بختنصر، فقال: ما هذا الدم؟ فقيل له: إنه يفور كلما ردم، فقال: إنه يقول: خذوا بثأري، فقتل من بني إسرائيل عليه سبعين ألفًا، فسكن الدم[١].

الدليل الثاني:

يتخذ الإمام القرافي من كثرة تعرض بني إسرائيل للغزو دليلاً على أن كتابًا لم يحفظه أحد، ولم يتعهد الله بحفظه، قد ضاع، وذلك قوله: «وما زالت الأمم التي استوالت عليهم كالشدابين[٢]، والبابلين[٣]، والفرس، واليونان[٤]، والنصارى،

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧٩)، وينظر أيضًا: بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٤٤)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (ص٦٦٩).
وذكر الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) أن بختنصر قتل سبعين ألفًا من بني إسرائيل من سن واحدة على دم يحيى بن زكريا، ثم إنه أمر جنوده أن يجمعوا له كل بني إسرائيل، فاختار منهم مائة وعشرين ألف صبي، فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه في غزو بني إسرائيل، ثم جعل الباقي من بني إسرائيل ثلاثة أقسام: فقسمًا أقرَّ بالشام، وقسمًا سبي، وقسمًا قتل. يراجع: تاريخ الطبري (١/ ٥٤٧) وما بعدها، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط/ الرابعة، بدون تاريخ.

(2) الشدابون لم أصل إلى معرفتهم في كتب البلدان، ولعلهم الكلدانيون، والذي جعلني أقول هذا: أن ابن القيم في إغاثة اللهفان (ص٦٩٩)، ذكر نفس عبارة القرافي، وذكر بدل الشدابين، الكلدانيين، والكلدانيون، هم الذين سكنوا بابل في الزمن الأول. [معجم البلدان (١/ ٣٠٩)].

(3) البابليون: سكان أهل بابل، وبابل مدينة بالعراق، تضم مدنًا عدة، منها: الكوفة، كان عرضها اثنى عشر فرسًا، وطولها مثل ذلك، لم تزل عامرة حتى خربها الأسكندر. يراجع: معجم ما استعجم (١/ ٢١٨)، معجم البلدان (١/ ٣٠٩، ٣١٠).

(4) بلد كبير بأرض الروم، يبعد عن مدينة برذعة وبيلقان القريبتين من أذربيجان بسبعة فراسخ، منشأ الحكماء، من عجائبها أن من حفظ شيئًا في تلك الأرض لا ينساه، ولهذا لم يوجد في أرض من الحكماء أمثال من وجدوا بها إلا نادرًا. يراجع: معجم البلدان (٥/ ٤٥٣)، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص٥٦٩)، دار/ صادر، بيروت، بدون تاريخ.

يقصدونهم أشد القصد، ويطلبون خراب بلادهم، وحرق كتبهم، حتى جاء الإسلام»[(١)].

وهذا المعنى سبق القرافي إليه السموأل، فتراه يبين أثر استيلاء الأمم على بني إسرائيل بقوله: «إن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها، وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها، واندرس قديم آثارها، وتعذر الوقوف عليها؛ لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات، والمصادمات، وخراب البلاد، وإحراق بعضها، فلا تزال هذه الفنون متتابعة إلى أن تستحيل علومها جهلاً، وكلما كانت الأمم أقدم، واختلفت عليها الدول المناوئة لها بالإذلال، والإيذاء، كان حظها من اندراس آثارها أكثر، وهذه الطائفة بلا شك أعظم الطوائف حظًّا مما ذكرناه؛ لأنها من أقدم الأمم عهدًا، ولكثرة الأمم التي استولت عليها»[(٢)].

الدليل الثالث:

يتخذ القرافي من طغيان ملوكهم وعبادتهم الأوثان وهجرهم هم ورعاياهم أحكام التوراة، دليلاً آخر على أن التوراة التي أنزلت على موسى قد ضاعت، وذلك قوله: «وأشد من ذلك ملوكهم الطغاة العصاة الذين عبدوا الأصنام وتركوا أحكام التوراة، وشرعها الدهر الطويل»[(٣)].

ويقول ابن حزم في هجر بني إسرائيل لأحكام التوراة، وإعلانهم عبادة الأصنام، وأثر ذلك على شرعهم: «فاعلموا أنه كان لليهود... سبع ردات فارقوا

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧٩).
(2) بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٤٣، ١٤٤)، وينظر أيضًا: إغاثة اللهفان (ص٦٦٩).
(3) الأجوبة الفاخرة (ص٧٩).

فيها الإيمان، وأعلنوا بعبادة الأصنام، فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام، والثانية ثمانية عشر عامًا، والثالثة عشرين عامًا، والرابعة سبعة أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام، وربما أكثر، والسادسة ثمانية عشر عامًا، والسابعة أربعين عامًا، فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر، ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقداره ثلاثة أيام في مثلها فقط، وليس على دينهم، واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم؟»[(١)].

ويقول ابن القيم معلقًا -بعد أن ذكر حالهم وحال ملوكهم-: «فإذا كان هذا تواتر الآفات على دينهم من قبل ملوكهم، ومن قبل أنفسهم، فما الظن بالآفات التي نالتهم من غير ملوكهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، ومنعهم من القيام بدينهم؟»[(٢)].

الدليل الرابع:

يتخذ الإمام القرافي من قتل بختنصر للهارونيين وتعرض بني إسرائيل للغزو، وأمر ملوكهم لهم بعبادة الأوثان، وإهمال أحكام التوراة؛ دليلاً على انقطاع السند، وإذا انقطع السند فكيف يوثق بأن التوراة من عند الله تعالى؟ وذلك قوله: «ثم إنهم مع هذا الأصل الواهي الذي لا يوثق فيه بشيء ليس على وجه الأرض منهم بشر يروي التوراة عدلاً عن عدل، وإذا تعذر عليهم رواية العدل، عن العدل فأولى أن يتعذر التواتر»[(٣)].

ثم يعقب بعد أن ذكر هذه الأدلة فيقول: «فظهر بهذا التقرير أن التوراة التي

---

(1) الفصل بين الملل والأهواء والنحل (١/ ١٨٩، ١٩٠).
(2) إغاثة اللهفان (ص٦٧٠).
(3) الأجوبة الفاخرة (ص٥٣، ص٨٠).

بأيديهم لا يقطع ولا يظن أن شيئًا منها من عند الله تعالى، بل هي تلفيقات مجهولات، وتواريخ موضوعات، وضعها لهم عزرا؛ لأنه لما رأى القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وعدم كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي كان يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة، وذلك بعد سبعين سنة بعد بختنصر... فبعد هذه السنين الطويلة لقنهم عزرا هذه التوراة من فصول جمعها، لا يدري هل أصاب أو أخطأ؟ ... ومثل هذا لا يجوز الاعتماد عليه حتى نقطع بكونه من عند الله تعالى[1].

والله أعلم

(1) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٧٩، ٨٠، ص١٤٩).

obeikandl.com

الفرع الثاني
إثبات أن التوراة محرفة

قبل ذكر ما أثبت به القرافي تحريف التوراة، أذكر تعريف التحريف، وأنواعه، وموقف علماء المسلمين من تحريف التوراة، ورأي الإمام القرافي في ذلك.

تعريف التحريف:

التحريف: هو التغيير، والتبديل، والإمالة، جاء في «لسان العرب»: حَرف عن الشيء يحْرِف حرفًا، وانحرف، وتَحَرَّف عدل ومال... وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره(١).

وذكر الإمام الرازي: «أن التحريف: إمالة الشيء عن حقه، يقال: قلم محرف، إذا كان رأسه مائلاً غير مستقيم»(٢).

وجاء في «التوقيف على مهمات التعاريف»: «أن تحريف الكلام جعله على حرف من الاحتمال، بحيث يمكن حمله على الوجهين»(٣).

أنواع التحريف:

ذكر الإمام الرازي أن التحريف نوعان:

- تحريف في اللفظ.
- تحريف في المعنى.

---

(1) لسان العرب (٩/ ٤١)، وينظر أيضًا: القاموس المحيط (١٠٣٣)، مادة: حرف.
(2) التفسير الكبير (٣/ ١٢٣).
(3) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص١٦٣)، ت/ د. محمد رضوان الداية، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ.

ثم قال: وحمل التحريف على تغيير اللفظ أولى من حمله على تغيير المعنى؛ لأن كلام الله تعالى إذا كان باقيًا على جهته، وغيروا تأويله، فإنما يكونون مغيرين لمعناه، لا لنفس الكلام المسموع، فإن أمكن أن يحمل على ذلك... فهو أولى، وإلا يمكن ذلك فيجب أن يحمل على تغيير تأويله[١].

موقف علماء المسلمين من تحريف التوراة:

يقول ابن القيم: «اختلفت أقوال الناس في التوراة التي بأيديهم هل مبدلة؟ أو التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل على ثلاثة أقوال طرفين وواسطة: فأفرطت طائفة، وزعمت أنها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة... وغلا بعضهم، فجوز الاستجمار بها من البول، وقابلهم طائفة أخرى من أهل الحديث، والفقه والكلام، فقالوا: بل التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل، وتوسطت طائفة ثالثة وقالوا: قد زيد فيها، وغُيِّر ألفاظ يسيرة، لكن أكثرها باق على ما أنزل الله... وممن اختار هذا القول شيخنا ابن تيمية»[٢].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن التوراة ليست جميعها محرفة ولا مبدلة، بل دخلها التحريف والتبديل، ومن ذلك قوله بعد أن ذكر ما في التوراة من أن الله تعالى ندم على خلق آدم، وندم على الطوفان: «وذلك أبلغ دليل على اشتمال توراتهم على الكذب»[٣].

---

(1) التفسير الكبير (٣/ ١٢٣)، وينظر: إظهار الحق (١/ ٢٢٣)، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، للألوسي بن الألوسي المفسر (٢/ ٥٩٥)، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار/ البيان العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م.

(2) إغاثة اللهفان (ص٦٦١-٦٦٣).

(3) الأجوبة الفاخرة (٨٢).

ويقول أيضًا في نقده ما جاء في التوراة من أن الله تعالى نزل من السماء ليمنع نمرودًا من بناء صرح -كما سيأتي- «وهذا كفر... يقضي على توراتهم بالبعد عن الهداية واشتمالها على الضلالة»[١].

ويقول بعد أن ذكر ما في التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء: «وإذا أمعنت النظر جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات، وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغييرات»[٢].

ويرى الإمام القرافي أن التوراة إذا دخلها التبديل والتحريف يجب اجتناب الجميع؛ لعدم تميز ما هو محرف من غيره، وذلك قوله: «ويجب اجتناب الجميع... وهو محرم العمل به، كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة، فإنه يحرم الجميع»[٣].

أدلة الإمام القرافي على أن التوراة محرفة

الدليل الأول:

يتخذ الإمام القرافي من اعتراف اليهود بأن مترجمي التوراة غيروا فيها دليلاً على التحريف فيقول:

«اليهود تعترف بأن سبعين كاهنًا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة بعد المسيح -عليه السلام- في زمن القياصرة»[٤]، ثم يعقب قائلاً: «ومن

(1) الأجوبة الفاخرة (٨٨).
(2) الأجوبة الفاخرة (١٤٩)
(3) الأجوبة الفاخرة (٨٥)
(4) ذكر ابن خلدون في تاريخه: أن بطليموس بن الأسكندر المقدوني، أمر من اليهود اثنين وسبعين بأن يترجموا له التوراة، وكتب الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية (٢/ ١٩١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ الرابعة، بدون تاريخ، وفي موسوعة اليهود =

اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله تعالى وتحريفه لا يوثق به فيما يدعي أنه كلام الله؛ إذ لعله مما حرفه».

ثم يعقب على هذا الاعتراف: «فإذا كان هذا ثناءهم الجميل، فعلى من يحصل التعويل؟ بل يجزم الطفل بوقوع التغيير والتبديل»[(١)].

الدليل الثاني:

يتخذ الإمام القرافي من رمي اليهود بعضهم بعضًا بالتحريف، وعود النصارى على اليهود بنفس الأمر دليلاً على أن التوراة حرفت، وهذا قوله:

«طائفة من اليهود يقال لهم السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفًا شديدًا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف. وكذلك النصارى أيضًا يدعون على اليهود أنهم حرفوا في التوراة التواريخ، ونقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألفًا ونحو المائتين سنة، حتى تنازعوا في زمن ظهور المسيح -عليه السلام». ثم يعقب قائلاً: «وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بعدم التحريف إلا معاند متعسف»[(٢)].

=

واليهودية أن هذه الترجمة كانت في الفترة ما بين (٢٢٨- ٢٤٧ ق. م) وهي أقدم ترجمة للعهد القديم على الإطلاق أثناء تلك الترجمة (٥/ ٩٠)، وينظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية، للبيروني (ص٣٠) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧٦). ويراجع: بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩٠)، الإعلام (ص١٩٠)، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى (ص١٣٩).

(2) الأجوبة الفاخرة (ص٨٦). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١١٧)، بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩٠، ٢٩١)، الانتصارات الإسلامية (ص٩٢)، هداية الحيارى (ص١٣٩).

وقد ذكر هذا الأمر وتوسع فيه كل من الإمامين: رحمة الله الهندي، في إظهار الحق

=

وقد ذكر الإمام القرطبي المحدث هذا الدليل بمعنى قريب مما ذكره القرافي، وزاد فيه مخاطبًا النصارى: «إن أنكرتم أن يكون شيء من التوراة قد حرف، فلأي شيء قلتم: إن اليهود حرفوا التوراة في نسب آدم ونقصوا منه؟ وإذا جاز ذلك في نسب آدم، جاز في غيره، وهذا بين»[(١)].

اعتراض وجوابه:

بعد أن ذكر الإمام القرافي الدليل السابق عقَّبه باعتراض مضمونه:

كيف يدعي المسلمون تحريف التوراة، وقد كان الأنبياء يحكمون بها إلى زمن عيسى -عليه السلام- مما يدل على صحتها؟

وأجاب عن هذا الاعتراض بالآتي:

١- لعل الأنبياء -عليهم السلام- كان يوحى إليهم بالصحيح منها.

٢- كل شيء حكموا به فهو صحيح، لكن الذي حكموا به غير معين، فيسقط الاستدلال بالجميع، ولا يفيدكم حكمه شيئًا.

٣- التغيير لم يتعين له زمان، فلعله كله وقع بعد النبيين -عليهم السلام-[(٢)].

=

(١/ ٢٢٥)، والألوسي البغدادي، في الجواب الفسيح (١/ ٤٣).

(1) الإعلام (ص١٩٣).

(2) ما ذكره القرافي في الجواب الثالث يتعارض مع ما ذكره قبل ذلك من أن الذي قام بالتحريف عزرا بعد السبي البابلي بسبعين سنة، ولعله اعتمد فيه على أبي عبيدة الخرزجي أو ذكره من حفظه له، لكن أبا عبيدة لم يقع في التضارب الذي وقع فيه القرافي؛ لأنه لم يحدد فترة التحريف كما ذكر القرافي. يراجع: بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩١).

وقد ذكر الإمام القرطبي هذا الاعتراض، وأجاب عنه بما هو قريب من جواب القرافي، وزاد فيه: «لو سلمنا أن الأنبياء كانوا يحكمون بها فنقول: كل شيء حكم به الأنبياء من التوراة فليس بمحرف، وأما ما لم يحكموا به منها فعله الذي حرف.

فإن قيل: فيلزم منه أن يقر الأنبياء على الخطأ، ويتحدثون بالكذب، فإنهم كانوا يتحدثون بها.

قلنا: ليس بكاذب من حكى شيئًا يعتقد صحته، لا يتعلق به حكم الله تعالى، وإنما الكاذب الذي يخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه العلم بذلك... وهذا إنما يجوز في حكاية الأخبار التي لا يتعلق بها حكم، وأما ما تعلق به حكم فلا يجوز؛ إذ الأنبياء معصومون فيما يبلغونه من الأحكام عن الله تعالى»[1].

هذا: ولم يشر إلى هذا الاعتراض من السابقين غير أبي العباس القرطبي ولم يذكره من اللاحقين للقرافي أحد -فيما اطلعت عليه.

الدليل الثالث:

يقول الإمام القرافي: «في آخر السفر الخامس من التوراة أن موسى -عليه السلام- توفي في أرض مواب، ودفن في الوادي في أرض مواب، بإزاء بيت فغورا، ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم، وكان قد أتى على موسى إذ توفي مائة وعشرون سنة، ولم يضعف بصره، ولم يتشنج وجهه، وبكى بنو إسرائيل موسى -عليه السلام- ثلاثين يومًا في غريب مواب، فلما تمت أيام حزنهم على موسى امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة؛ لأن موسى كان قد وضع يده على

(1) ينظر: الإعلام (ص١٩٢).

رأسه في حياته، وكان بنو إسرائيل يطيعونه كما أخبر الربُّ موسى»[١].

يقول القرافي بعد أن ذكر هذا الدليل: «هذا تاريخ حدث بعد موسى -عليه السلام- بالضرورة، فهو من غير المنزل قطعًا، بل هو كلام القائل: «ولم يعرف إنسان موضع القبر إلى اليوم». ثم يقول: «وإذا زيد فيها مثل هذا أمكن أن يقال: إن ما فيها من حكايات ركيكة زيدت بالأهوية والأغراض، وليست منزلة من عند الله، ولذا يسقط الاحتجاج بجميع التوراة؛ لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح، فلا يوثق بشيء بعد ذلك.

ويوظف القرافي الفقه في رده هنا مؤكدًا أنه إذا اختلطت التوراة بغيرها وجب ترك الجميع كالميتة إذا اختلطت بالمذكاة، فإنه يحرم أكل الجميع، فيقول: «ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون زيد، وهو محرم العمل به، كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة فإنه يحرم الجميع».

ثم يقول: «والذي يغلب على الظن أن السفر الأول الذي هو سفر البدء والانتساب، زيد بجملته وهم لا يشعرون»[٢].

وقد ذكر هذا الدليل القرطبي المحدث (ت ٦٥٦هـ)، وعلق عليه بنحو ما علق عليه القرافي، وأضاف:

«فهم بين أمرين: إما أن يقولوا: إن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى، وأخبر به موسى، أو يقولوا: إنه ليس مما أخبر الله به موسى، ولم يخبر به موسى، فإن قالوا الأول كذبهم مساق الكلام، فإن المفهوم منه على القطع أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان، وإن قالوا بالقول الآخر، قيل لهم: فلأي شيء خلطتم كلام

(1) سفر التثنية، الإصحاح (٣٤)، الفقرات (٦- ١٠).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٨٥).

الله بغيره؟»[١].

وأورد هذا الدليل أيضًا أبو الوليد الباجي، وعقب بأن موت موسى بأرض مواب مشكل؛ لأن التوراة إنما أنزلت على موسى، وبلغها إيانا، وبعد أن مات فمن أبلغنا هذا الكلام عن الله؟[٢]

الدليل الرابع:

يتخذ الإمام القرافي من تعبير التوراة عن موسى بضمير الغائب بكثرة دليلاً على التحريف، فيقول: «إنه قد تكرر في التوراة، وكلم الرب موسى وقال له: اقبض حسان بني إسرائيل»[٣]، «وكلم الرب موسى، وقال له: كلم بني إسرائيل»[٤].

ثم يقول: هذا العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالى، ولا من كلام موسى، بل حكايات من قول الغير لمعنى ما وقع، ولعل هذا الحاكي أخل باللفظ والمعنى، أو بالمعنى وحده، ولم يثبت عندنا عدالته، ولا معرفته، ولعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل والتغيير، فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا

---

(1) الإعلام: (ص١٨٨، ١٨٩).

(2) يراجع: على التوراة، لأبي الوليد الباجي (ص١٤٨)، ت د. أحمد حجازي السقا، دار/ الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م. ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٨٦)، ذكره مختصرًا، وأشار إلى ذلك أيضًا رحمة الله الهندي، يراجع: مختصر إظهار الحق، للهندي (ص٤٥)، ت/ محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٥هـ.

(3) في سفر العدد «اقبض حساب بني جرشون»، سفر العدد، الإصحاح (٤)، الفقرة (٢١).

(4) سفر الخروج، الإصحاح (١٤)، الفقرة (١)، والإصحاح (٣١) الفقرة (١٢)، وسفر اللاويين، الإصحاح (٧)، الفقرة (٢٨)، وقد وردت هذه العبارة في التوراة مرات كثيرة جدًّا.

يجوز الاعتماد عليها، وأنها مغيرة قطعًا[١].

وقد أورد رحمة الله الهندي تعليقًا جميلاً في هذا المقام فقال: «لو كانت التوراة من تصنيفات موسى، لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعبر في موضع من المواضع؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار»[٢].

الدليل الخامس:

يستدل الإمام القرافي على تحريف التوراة بما في التوراة من التناقض والتكاذب، ويذكر أمثلة على ذلك:

المثال الأول:

يقول القرافي: «في التوراة: في نسخة فيها: أن آدم -عليه السلام- عاش مائة وثلاثين سنة، ثم ولد على شبهه ولد سماه شيثًا[٣]، وفي نسخة أخرى: لم يرزق شيثًا إلا بعد مائة وخمسين سنة[٤]، وعاش بعد ولادته ثمانمائة سنة[٥]، فكان جميع عمره تسعمائة وثلاثين سنة[٦]، وفي نسخة: ألف وثلاثون سنة»[٧].

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٨٥، ٨٦).

(2) ينظر: إظهار الحق (١/ ٦٤). وذكر هذا الدليل وعلق عليه بمعنى قريب مما ذكره القرافي الإمام القرطبي، يراجع: الإعلام (ص١٨٩).

(3) سفر التكوين، الإصحاح (٥)، الفقرة (٣).

(4) لم أجد هذا النص في التوراة البابلية والسامرية، ولعله في نسخة اطلع عليها الإمام القرافي.

(5) تكوين، الإصحاح (٥)، الفقرة (٣).

(6) تكوين، الإصحاح (٥)، الفقرة (٣).

(7) لم أجد هذا النص في التوراة الحالية، ولعله في نسخة اطلع عليها القرافي في زمانه. وعلى ما ذكره القرافي عن النسخة الثانية يكون جميع عمر آدم تسعمائة وخمسين سنة، لا ألفًا وثلاثين؛ لأن النسخة الثانية لم تزد إلا عشرين سنة.

obeikandl.com

ثم عاش شيث مائة وخمس سنين، وولد آنوش، وعاش بعدما ولد آنوش ثمانمائة سنة وسبع سنين، فكانت كل أيام شيث تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة[١]، وفي نسخة أخرى تسعمائة سنة وسبع سنين[٢].

ثم يعلق القرافي بقوله:

واستمر هذا التناقض والتكاذب في مشاهير أولاد آدم -عليه السلام-، ولا تكاد نسخة توافق الأخرى، وإذا كان هذا تحريفهم وتبديلهم فيما لا غرض لهم فيه من أعمار الأنبياء -عليهم السلام-، فكيف يكون حالتهم فيما يتعلق لهم به غرض؟[٣]

وذكر هذا التناقض أبو الوليد الباجي، وبين أنه في نسخة عمر شيث قبل ولادة آنوش مائة وخمسين سنة، وأنه عاش بعده ثمانمائة وسبع سنين.

وفي نسخة أخرى: أنه عاش قبل ولادة آنوش مائتين وخمس سنين، وعاش بعد ولادته تسعمائة وسبع سنين، ثم يتعجب قائلاً: «كيف يحسن أن يقال: فكان جميع عمر شيث تسعمائة واثنتي عشرة سنة، مع أنه على النسخة الأولى تسعمائة وسبع وخمسون سنة، وعلى النسخة الثانية ألف ومائة واثنتا عشرة سنة»[٤].

المثال الثاني:

يقول الإمام القرافي: «في التوراة: أن الله تعالى قال لآدم: إنكما في اليوم الذي

(1) تكوين، الإصحاح (٥)، الفقرات (٦- ٨).
وما أثبته هو الصواب، لكن ما ذكره القرافي أنه عاش مائة وخمسين سنة، ثم عاش بعد ولادة آنوش تسعمائة واثنتي عشرة سنة، فهو خطأ، ولعل هذا من فعل النساخ.
(2) لم أصل إلى هذا النص، ولعله في نسخة أخرى، اطلع عليها القرافي في زمانه.
(3) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٨٤).
(4) يراجع: على التوراة (ص٣٨، ٣٩).

تأكلان فيه من الشجرة التي نهيتكما عنها تموتان موتًا[١]»، وفيها أيضًا: «أنهما عاشا بعد ذلك، ورزقا بعد دهر طويل»[٢]، ثم يقول: «وهذا تناقض فاحش، دل على تبديل التوراة وتغييرها»[٣].

المثال الثالث:

يقول الإمام القرافي: «في التوراة: أن الله تعالى قال لإبراهيم -عليه السلام-: إن ذريتك ستستعبد بمصر أربعمائة سنة»[٤]، وقال مؤرخوهم: «لم يمكثوا إلا مائتين وثلاثين سنة».

يقول القرافي: «وهذا تناقض فاحش»، ثم يصل إلى النتيجة بقوله: «فهم وكتبهم الكاذبون»[٥].

ولم يذكر هذا التكاذب قبل القرافي ولا بعده إلا ابن حزم -على ما أعلم-، وعلق عليه بأن هذه سوأة عظيمة، وعار على اليهود؛ لأن بدء تعذيبهم كان بعد موت يوسف -عليه السلام- بلا شك، إلى أن خرج بهم موسى -عليه السلام، وهم لم يدخلوا مصر إلا في وزارة يوسف مع يعقوب -عليه السلام-:

يقول: وهذه المدة لم تبلغ أربعمائة سنة؛ لأنه ذكر في كتبهم أن قاهات بن لاوي بن يعقوب والد عمران أبي موسى كان ممن ولد بالشام، ودخل مع جده يعقوب إلى مصر، وذكر فيها أيضًا أن جميع عمر قاهات مائة وثلاث وثلاثون

---

(1) تكوين، الإصحاح (٢)، الفقرات: (١٦- ١٨).
(2) في سفر التكوين، الإصحاح الرابع: أن آدم ولد له قابيل وهابيل، وفي الإصحاح الخامس: أن آدم عاش تسعمائة وثلاثين سنة.
(3) ا لأجوبة الفاخرة (ص١٤١)، وينظر: إظهار الحق (١/ ١٣٢).
(4) تكوين، الإصحاح (١٥)، الفقرة (١٣).
(5) الأجوبة الفاخرة (ص٨٤).

سنة، وأن جميع عمر عمران مائة وسبع وثلاثون سنة.

يقول: فهبك أن قاهات كان إذا دخلها عمره أقل من شهر، وأن عمران ولد له سنة موته، وأن موسى -عليه السلام- ولد لعمران سنة موته، فالمجموع من هذا كله ثلاثمائة سنة وخمسون سنة، فكيف الأربعمائة سنة؟

ثم ذكر أن كتب اليهود تقول: إن عمر قاهات لما دخل مصر كان ثلاث سنين، ولما ولد له عمران كان ستين سنة، وإن عمر عمران لما ولد له موسى كان ثمانين سنة. ثم يقول: وبإسقاط هذه السنين يكون بقاء بني إسرائيل بمصر منذ دخلوها إلى الخروج منها مائتي سنة وسبع عشرة سنة، فكيف الأربعمائة سنة؟ ثم يسقط ابن حزم من هذه المدة مائتي وسبع عشرة سنة مدة حكم يوسف منذ دخول أبيه وإخوته إلى موته، ثم فترة وجود إخوة يوسف بمصر؛ لأنه -كما يقول-: لم ينل بني إسرائيل تعذيب في هذه الفترة، لتصبح مدة بقاء بني إسرائيل بمصر مائة وثلاثًا وعشرين سنة.

ثم ذكر لهذه المدة تقليبات أخرى بين فيها أنها قد تصل إلى تسع وثلاثين ومائتي سنة، وقد تصل إلى أربعمائة وأربع وعشرين سنة لو حسبت المدة من وقت قول هذا الكلام لإبراهيم -عليه السلام- قبل ولادة إسماعيل إلى وقت خروجهم. ثم يقول: فلا منجا من الكذب إما بالزيادة أو النقصان[1].

والله أعلم

(1) ملخصًا من الفصل (١/ ١٢٥- ١٢٨).

الفرع الثالث
بيان ما في التوراة مما ينافي جلال الألوهية

الله تعالى موصوف بكل كمال، منزه عن كل نقص، وإن اشتمال كتاب على شيء واحد يلزم عنه وصف الله تعالى بالنقص؛ لهو أكبر دليل على أن هذا الكتاب ما نزل من عند الله تعالى، فكيف لو تعددت الأشياء؟

ولما كثر في التوراة ما ينافي كمال الله تعالى اتخذ الإمام ذلك ركيزة ارتكز عليها في نقد التوراة.

وفي الحقيقة: هذا المسلك والذي يليه يعتبران دليلين آخرين -زيادة على ما سبق- على أن التوراة محرفة، وأنها لا يعتمد عليها، والآن مع جهود الشيخ في بيان أن التوراة تشتمل على ما ينافي جلال الألوهية.

وصف الله تعالى بعدم العلم:

١- في التوراة: «أن الله تعالى قال لإبراهيم -عليه السلام-: لقد وصل إلى إثم سدوم وعامور، فقلت: أنزل الآن، فأنظر هل منعوا وأثموا كما بلغني، وإلا عرفت ذلك»[(١)]. يقول القرافي:

«وفي هذا الكلام نسبة الباري تعالى إلى عدم العلم بالمغيِّبات، ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق، وأنهم متهمون عند الله تعالى، وهذا الكلام في غاية البعد عن جلال الربوبية، والملائكة الكرام، فيقطع العاقل بكذبه»[(٢)].

٢- في التوراة: «أن الله تعالى حين أراد قتل فرعون وجنوده، قال لموسى -عليه السلام-: قل لبني إسرائيل: يذبحون جملاً، ويضمخون من دمه على

(1) سفر التكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرات (٢٠- ٢٢).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٨١)، وينظر: على التوراة (ص٧٣).

أبواب دورهم، حتى إذا جزت الليلة في أرض مصر، ورأيت الدم عرفت أبوابكم من أبواب المصريين؛ لئلا أهلككم معهم»[(١)]. يقول القرافي:

«نسبوا إلى الله تعالى أنه لا يعلم إلا ما يراه بأمارة، ولا يتحقق شيئًا إلا بإشارة، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، بل هو أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء»[(٢)].

الله تعالى في التوراة يعتريه التعب والنصب والحزن -تعالى الله عن ذلك-:

١- في التوراة: «أن الله تعالى لما خلق الخلق في ستة أيام استراح في اليوم السابع»[(٣)]. يقول القرافي معلقًا:

«اعتقدوا؛ لغلط أفهامهم أن الله تعالى يعتريه التعب والنصب، حتى نقل عن بعضهم في غير التوراة أنه -تعالى- في اليوم السابع استلقى على ظهره واضعًا إحدى رجليه على الأخرى». ثم بين ما في هذا من جهالات بقوله:

«في هذا جهالات منها: التجسيم، ومنها: ضعف القدرة لطرآن التعب والنصب، ومنها: أنه يلزمهم أنه يكون إلههم حادثًا، فإن محل الحوادث يجب أن يكون حادثًا، والتعب والنصب حوادث»[(٤)].

---

(1) في سفر الخروج: أن موسى -عليه السلام- دعا شيوخ بني إسرائيل، وأمرهم أن يذبحوا غنمًا، ويلطخون من دمها عتب الأبواب والقوائم، وأمرهم ألا يخرج أحد من بيته حتى الصبح؛ لأن الرب يجتاز الليلة ليضرب المصريين، فإذا وجد الدم على العتبة والقائمتين لا يهلك هذا البيت. يراجع: سفر الخروج، الإصحاح (١٢)، الفقرات (٢١- ٢٤).

(2) الأجوبة الفاخرة (ص١٥١)، وينظر: على التوراة (ص٩٢).

(3) سفر التكوين، الإصحاح (٢)، الفقرات (١- ٣)، وأيضًا: سفر الخروج، الإصحاح (٢)، الفقرة (١١).

(4) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٨).

ويقول أبو الوليد الباجي معلقًا على هذا الأمر: «الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب، فأما من أفعاله بالأمر التكويني يقول للشيء: كن فيكون، فذلك في حقه ممتنع»[١].

ويقول ابن القيم في الرد على هذا النص: «أنزل الله على رسوله ﷺ تكذيبهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨][٢].

مقارنة

يقارن الإمام القرافي بين ما يعتقده اليهود من طرآن التعب على الله تعالى، وبين ما يعتقده المسلمون في ذلك فيقول: «فأين هذا من قول المسلمين: إن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة، وإن إيجاده بأن يقول للشيء: كن فيكون؟

وأين هذا من اعتقاد المسلمين أن صُنْعَهُ للأشياء من غير معالجة ومخالطة لها؟ فهذا هو التوحيد والتمجيد اللائق بجلالة الربوبية، وتعظيم الله تعالى، أما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود»[٣].

٢- في التوراة: «أن الله تعالى لما رأى معاصي بني آدم قد كثرت على الأرض، قال: لقد ندمت إذ خلقت آدم، فأرسل الطوفان فأباد ما على الأرض من الحيوان، وأنه لما فعل ذلك ندم أيضًا، وقال: لا أعود أفعل ذلك»[٤].

---

(1) على التوراة (ص٢٧، ٢٨).

(2) هداية الحيارى (ص١٤٠، ١٤١). وينظر: الانتصارات الإسلامية، (ص١٦٢).

(3) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٨).

(4) سفر التكوين، الإصحاح (٦)، الفقرات (٥- ٨، ١٧)، والإصحاح (٩)، الفقرة (٢١).

يقول الإمام القرافي:

«وهذا كلام يقتضي أن الله تعالى لا يعلم ما سيكون، وأنه تعالى تعتريه صفات البشر من الندم والبداء والأسف»، ويتعجب القرافي من إنكارهم النسخ لما فيه من البداء، مع أنهم يدينون به، فيقول: «ومن العجب: أنهم ينكرون النسخ؛ لئلا يلزم البداء، وهم يعتقدون البداء والندم، فما أدري أي الأمرين أعجب؟ ثم في هذا الكلام الندم، والندم على الندم، وهذا لو فعله والي ضيعة لاستحق العزل، فكيف يليق نسبته إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى؟ وذلك أبلغ دليل على اشتمال توراتهم على الكذب»[1].

ويقول الإمام القرطبي في هذه الجزئية: «هذا في حق الله تعالى محال؛ إذ الندم إنما يلحق من لا يعلم مصير المندوم عليه وحاله، واعتقاد هذا كفر في حق الله تعالى؛ إذ ينبئ على أن الله تعالى جاهل، وأنه متغير -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا»، والإمام القرطبي هنا يشير إشارة جميلة، وهي أنه لو يمكن حمل هذا الكلام على معنى آخر حتى لا يوقع في هذا الكفر لصار إليه، لكن العبارة لا تحتمل إلا هذا الوجه، فيقول: «ولفظ الندم هنا نص لا يقبل التأويل، فهو كاذب وباطل قطعًا»[2].

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٨٢).

(2) الإعلام (ص١٩٤). وما ذكره الإمام القرطبي أمر مهم تنبغي مراعاته في مجال المناظرة عمومًا، ولاسيما في مناقشة أهل الكتاب، وهو أنه متى أمكن حمل أدلتهم على وجه مقبول حملت على ذلك، وليس القرطبي وحده الذي أشار إلى هذا المبدأ، فقد سبقه ابن حزم حيث يقول: «وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا، أننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئًا يمكن أن يخرج على وجهٍ ما، فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له... وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه، ولا وجه أصلاً إلا الدعاوي الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً، لا محتملاً ولا خفيًّا». ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١١٧).

=

وصف الله تعالى بالجسمية في التوراة:

١- في التوراة: «أن روح الله تعالى قبل خلقه كانت ترفرف على الماء»[(١)].

يقول القرافي: «هذا كلام باطل من جهة أن قبل الخلق لم يكن ثم مياه، وكلامهم يقتضي قدم المياه، فلا تكون مخلوقة، وهو خلاف إجماعهم، وخلاف المعقول والمنقول، ثم لو سلمنا قدم المياه، فكلامهم أن لله تعالى روحًا، وهذا معناه أن هذه الروح جسم؛ لأن الرفرفة إنما تكون في الأجسام ، والجسمية محال عليه تعالى بأدلة العقول، ولموافقتهم على ذلك. ثم يقتضي قولهم هذا: أن روح الله تعالى تفارقه ويبقى بلا روح ميتًا، وهذا محال آخر، فاشتمل قولهم هذا على أنواع من المحال»[(٢)].

يقول الطوفي البغدادي (ت ٧١٦هـ): معلقًا على هذا النص، مبينًا ما فيه من

=

ويراجع: في المسألة التي ذكرها القرافي، بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموأل (ص١٣٤)، بين الإسلام والمسيحية، (ص١٠٣)، على التوراة، (ص٤٣، ٤٤)، هداية الحيارى (ص١٤٠، ١٤١، ١٤٨).

(1) تكوين، الإصحاح (١)، الفقرة (٢). ويذهب البعض إلى أن أصل النص «ريح الله»، وإنما حرف النصارى ذلك ليثبتوا قدم روح القدس، يقول د. أحمد حجازي السقا: «ولما كانوا -النصارى- يؤمنون بالتوراة التي هي كتاب العقيدة والشريعة لبني إسرائيل، والمسيح لم ينسخها، ترجموا أول سفر التكوين هكذا «... روح الله ...» وغرضهم من هذه الترجمة إثبات عقيدتهم في روح الله الذي هو روح القدس عندهم، وغرضهم هذا ما كنا لنعرفه لو لم نقرأ ترجمة اليهود نفسها التي تترجم «وريح الله» بدل «وروح الله». التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري/ أبو الحسن إسحاق الصوري، ت د. أحمد حجازي السقا، مقدمة المحقق (ص١٣)، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٩٨هـ. والذي يؤكد ما قاله أن في التوراة السامرية: «ورياح الله هابة على وجه الماء» سفر التكوين: الإصحاح (١)، الفقرة (٢).

(2) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص١٤٧).

التجسيم: «الروح جسم -وهو محال على الله تعالى-، والحجج على جسميتها كثيرة، لكن نكتفي منها بحجة طبيعية ذكرها الأطباء، وهي اضطراب الصدر وحركته لها عند النزع»[١].

٢- في التوراة: «أن نمرود لما بنى الصرح وشيّده، نزل الباري تعالى إلى الأرض حتى هدمه، وحال بين نمرود، وبين ما أراد من ذلك»[٢]. يقول القرافي: «وهذا تجسيم وتعجيز وتسوية ومقاربة بين الله تعالى ونمرود، فإن هذا إنما يكون بين الإنسانين المتقاربين، أما الملك العظيم مع من هو دونه، فإنه لا يتحرك بنفسه له، بل يبعث بعض أعوانه، وهاهنا جعلوا الله تعالى لا يبعد هذا الصرح إلا بأن يأتي بنفسه، وهذا كفر لم تصل إليه النصارى، وسخف كثير يقضي على توراتهم بالبعد عن الهداية، واشتمالها على الضلالة»[٣].

٣- في التوراة: «أن الله تعالى نزل إلى الجنة ومشى فيها حين كلم آدم -عليه السلام-»[٤]، وفيها: «أنه نزل إلى الأرض حين أنقذ بني إسرائيل من سحرة فرعون»[٥]، «ونزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق»[٦]، «ونزل إلى الأرض عندما كلم إبراهيم وبشره بالولد»[٧]. «ونزل إلى الأرض ومنع

---

(1) ينظر: الانتصارات الإسلامية (ص١٦١).

(2) ليس في التوراة الحالية أن الله تعالى نزل ومنع نمرودًا من بناء الصرح، ولكن فيها أن الله تعالى نزل من السماء ومنع بني آدم من بناء مدينة أرادوا بناءها بعد الطوفان. تكوين، الإصحاح (١١)، الفقرات (١-٩).

(3) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٩).

(4) تكوين، الإصحاح (٣)، الفقرة (٨).

(5) خروج، الإصحاح (١٤)، الفقرات (٢٤- ٢٧).

(6) خروج، الإصحاح (٣)، الفقرات (٣- ٦).

(7) تكوين، الإصحاح (١٧)، الفقرات (١- ٤).

نمرود وقومه من بناء الصرح».

لم يعلق القرافي على هذه الأمور؛ لوضوحها، ولكن بيَّن الحامل لهم على اعتقاد مثل هذه الأمور، وهو أنهم يسمعون أن الله تعالى كلم هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام-، فاعتقدوا أن هذا يكون منه بالحركات والتنقل في الجهات، فأثبتوا ذلك في توراتهم. ثم يقول: «وهذا -ما في النصوص- يقتضي أن كتبهم ملفقة على حسب أهوائهم، لا على حسب ما أنزل الله إليهم»[(١)].

وصف الله تعالى بالعجز والاحتياج في التوراة:

في التوراة: «أن الله تعالى حين أكمل خلق العالم قال: تعالوا نخلق بشرًا يشبهنا، فخلق آدم»[(٢)].

يقول القرافي: «اعتقد كثير من اليهود لهذه المقالة التجسيم، وقالوا: إن الله تعالى في صورة آدم -عليه السلام- وإنه شيخ أبيض اللحية والرأس، جالس على كرسي، والملائكة قيام بين يديه، والكتب تقرأ بحضرته». ثم يقول: «فانظر إلى هذه العبارة الركيكة، وهذه العقول السخيفة، جعلوا لله تعالى شركاء في الخلق، لا شريكًا واحدًا، وأنه لا يستقل بخلق آدم بدليل قوله: (تعالوا) وهي صيغة جمع. فيلزمهم: أن هؤلاء كل منهم إله، لا مزية لله تعالى عليهم، بل الجميع يتساعدون في الخلق، ثم يلزم: أنه لا يصلح واحد منهم للربوبية لعجزه عن الاستقلال، ثم يفاضل القرافي بين قول اليهود هذا وقول النصارى بالتثليث، يقول: «وهذا شر من قول النصارى بكثير، فإن النصارى جعلوا كل واحدٍ

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص١٥١).
(2) تكوين، الإصحاح (١)، الفقرة (٢٦).

مستقلاً، فأمكن أن يكون إلهًا[١]، وأما على قول اليهود في هذه المقالة فلا»[٢].

وذكر الإمام ابن حزم هذا النص، وقال معلقًا عليه: «لو لم يقل: إلا كصورتنا لكان له وجه حسن، ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق... لكن قوله: «كشبهنا» منع التأويلات وسد المخارج، وقطع السبل، وأوجب شبه آدم لله تعالى... وهذا يعلم بطلانهُ ببديهة العقل؛ إذ الشبه والمثل معناهما واحد، وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبه»[٣].

وأورده أبو الوليد الباجي وعلق بقوله: «كيف يحسن أن يقال: كصورتنا وشبهنا، مع أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الصورة، بل هو خالق الصور كلها، والخالق مغاير للمخلوق ومستغنٍ عنه؟»[٤].

الله تعالى في التوراة تحويه الأماكن والقباب:

١- في التوراة: «أن هارون -عليه السلام- وأخته مريم وقعا في موسى وحسداه وآذياه، فنزل الله إلى قبة الرُّمان، ودعا هارون -عليه السلام- ومريم، وتوعدهما، وبرَّص مريم، فصارت برصاء من ساعتها»[٥].

يقول القرافي: «نسبوا إلى الله تعالى الحلول في قبة الرمَّان، بقصد الانتصار،

---

(1) في كلام القرافي هذا نظر؛ لأن الاستقلالية وحدها لا تكفي لإثبات الألوهية، بل لا بد من صفات أخرى مثل سعة العلم، وعموم القدرة، ونفاذ الإرادة، وغير ذلك من الصفات الثابتة للباري تعالى، واثنان من ثلاثة النصارى لا يتحقق فيهما صفات الباري تعالى، ومن ثمّ لا يمكن بحال أن يكون واحد منهما إلهًا، فضلاً عن كليهما.

(2) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٧، ١٤٨).

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١١٧، ١١٨).

(4) على التوراة (ص٢٥). ويراجع: الانتصارات الإسلامية (ص١٦١).

(5) سفر العدد، الإصحاح (١٢)، الفقرات (١- ١١).

وأنه لا يحكم على أحد حتى يحضره، ولذلك استحضرهما بين يديه، وهذا من قبيح كذب اليهود على الله، وعلى رسله»[١].

ويعلق أبو الوليد الباجي على هذا النص، بأن النزول محال على الله تعالى؛ لأنه من صفات الأجسام، وذلك قوله: «والله تعالى منزه عن النزول وعن الحلول وعن الغمام، وعن القيام على باب القبة فإن هذه من صفات الأجسام»[٢].

٢- في التوراة: «أن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها فبنوا له ذلك[٣]؛ لأن موسى -عليه السلام- قال: يا رب، إن هذه الأمة القاسية لا تمضي إلى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها، فقال الله تعالى: اعملوا لي قبة، فعملها موسى وسماها قبة العهد، ونزل الله في عرشه، ونزل معهم داخل القبة ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم»[٤].

يقول الإمام القرافي: «انظر لجرأة هذه الطائفة على الله تعالى، لم يقدروه حق قدره، ولم يعاملوه بما يليق بجلاله، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون»[٥]. ثم يقول:

«ويحكى عنهم أيضًا أنهم قالوا: إن الله تعالى أبى مرة من السير معهم، وقال:

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص١٥١).
(2) ينظر: على التوراة (ص١١٤، ١١٥).
(3) سفر الخروج، الإصحاح (٢٥، ٢٦، ٢٧، والإصحاح ٣٥)، الفقرات (٤- ... إلخ). ويمكن القول: بأنه من الإصحاح الخامس والعشرين إلى آخر السفر يتحدث عن تلك الخيمة، وكيفية بنائها.
(4) سفر الخروج، الإصحاح (٤٠)، الفقرة (٣١).
(5) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٢).

اظعنوا أنتم فإني لا أظعن، بل أبعث معكم من يغفر لكم ذنوبكم»[١].

يقول الإمام القرافي: «فانظر إلى استخفافهم بالله تعالى إلى هذه الغاية، تحويه القباب، ويسير مع الركاب، وهذه غاية الإسهاب في السباب، فيما لا يليق برب الأرباب، بل هو تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لا تحويه الجهات، ولا يوصف بالحركات والسكنات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات»[٢].

وذكر أبو الوليد الباجي أمر هذه القبة، وأطال في وصف بنائها، ثم علق بأن هذه المطالب إنما يطلبها من شغلته زخارف الدنيا، ليس رب الأرباب تعالى، وذلك قوله: «... إلى غير ذلك من التطويلات في السرف، والاشتغال بزخارف الدنيا الفاتنة الشاغلة عن الله تعالى»[٣].

والله أعلم

(1) سفر الخروج، الإصحاح (٣٣)، الفقرات (١ – ٣).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٢).
(3) على التوراة (ص٩٨). وينظر: الإعلام (ص١٩٥).

obeikandl.com

الفرع الرابع
بيان ما في التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء عليهم السلام

لكن قبل أن نذكر ما أورده القرافي من التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء نعرف العصمة فنقول:

العصمة في اللغة: المنع والحفظ.

جاء في «لسان العرب»: «عصَمه يعصِمه عصْمًا، منعه ووقاه، وفي التنزيل: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي: لا معصوم إلا المرحوم، واعتصم فلان بالله: إذا امتنع به... والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فانعصم[(١)].

وجاء في «مقاييس اللغة»: «العين والصاد والميم: أصل واحد يدل على إمساك ومنع، والعصمة: أن يعصم الله عبده عن سوءٍ يقع فيه»[(٢)].

والعصمة في اصطلاح المتكلمين:

صفة توجب امتناع عصيان موصوفها، بأن يحفظ الله ظواهر الأنبياء وبواطنهم من الوقوع في المكروهات والمحرمات، صغائر كانت أو كبائر، قبل النبوة أو بعدها، عمدًا كانت أو سهوًا[(٣)]، على تفصيل في ذلك مذكور في كتب المتكلمين، لن نذكره خوفًا من الإطالة»[(٤)].

---

(1) لسان العرب (١٢/ ٤٠٣)، مادة: عصم.

(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٣/ ٣٣١، ٣٣٢)، مادة: عصم. ت/ عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ الثانية، ١٣٩٠هـ. ١٩٧٠م.

(3) ينظر: حاشية الدسوقي على أم البراهين (ص١٧٣).

(4) يراجع: عصمة الأنبياء، للرازي (ص٢- ٤)، تعليق/محمد منير الدمشقي، سنة =

والعصمة في حق الأنبياء عند المتكلمين -وخصوصًا الأشاعرة- بمعنى: الأمانة، وهي من الصفات الواجبة للأنبياء -عليه السلام. ويؤيد هذا ما جاء في حاشية الدسوقي بعد تعريف صفة الأمانة الواجبة للرسل «والمتكلمون يعبرون بالعصمة»[(١)]، وإذا كان الأمر كما ذكر في تعريف العصمة، فالأنبياء مبرءون عن كل صغيرة وكبيرة قبل النبوة وبعدها، وعن كل ما يخل بحكمة بعثتهم، وإذا صدر منهم ما يخل بعصمتهم، فإنه يجب صرفه عن ظاهره إن أمكن، وإلا فمحمول على ترك الأولى»[(٢)].

وبعد تعريف العصمة نبين ما ذكره القرافي مما في التوراة مناقضًا لعصمة الأنبياء.

نوح -عليه السلام- يعاقب من لم يجنِ:

١- في التوراة: «أن نوحًا -عليه السلام- نام في خيمته، فكشف الريح عورته، فضحك منه ابنه حام، فدعا عليه وعلى عقبه»[(٣)].

يقول القرافي في نقده لهذا الكلام: «فأين هذا الخلق الذميم، والطبع السقيم،

=

١٣٥٥هـ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين (ص٥٢٠) وما بعدها. ويراجع: شرح المقاصد، (٣/ ٣٠٩) وما بعدها، وشرح السعد على العقائد النسفية (ص١٣٦، ١٣٧)، مطبعة/ دار الكتب العربية الكبرى، لمصطفى البابلي الحلبي وأخويه: بكري وعيسى، مصر، بدون تاريخ.

(1) حاشية الدسوقي على أم البراهين (ص١٧٨).

(2) ينظر: شرح السعد على العقائد النسفية (ص١٣٧)، حاشية البيجوري على متن السنوسية (ص٤٧)، المطبعة المليجية، مصر، ط/ الأولى، ١٣٣٢هـ.

(3) سفر التكوين، الإصحاح (٩)، الفقرات (٢١- ٢٦)، وكان الدعاء عليه بأن يكون هو ونسله عبيدًا لبني سام ويافث أخويه.

والعقوبة العظيمة على من جنى ومن لم يجن -على جناية صغيرة- من خلق العقلاء، فضلاً عن الأنبياء؟ وهل هذا إلا من ترهات العوام، وخرافات العجائز، اتخذته اليهود قرآنًا يقرأ، وجعلوه مما أنزل من عند الله؟ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وجلت رسله ورسائله عن هذا الافتراء»[(١)].

وقد تناول ابن حزم خبر دعاء نوح على ابنه حام، ونقده مبينًا أن فيه تناقضًا مع ما جاءه في التوراة من أن الكنعانيين -بني حام- ملكوا الأرض، ولم يكونوا عبيدًا لإخوانهم، وهذا تكذيب لما أخبر به نوح -عليه السلام-، وذلك قوله: «إن نوحًا -عليه السلام- لما بلغه ما فعل ابنه حام أبو كنعان قال: ملعون أبو كنعان عبد العبيد، يكون لإخوته مستعبدًا... يقول: ثم نسى المحرِّف نفسه، أو تعاظم استخفافًا بهم، فلم يطل، لكنه بعد ذلك قال: إذ ذكر أولاد حام «... وكوش نمرود الذي ابتدأ يكون جبّارًا في الأرض... وكان أول مملكته بابل»[(٢)]، ثم يقول: فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح في خبره، وهو بإقرارهم نبي معظم جدًّا»[(٣)].

وإذا كان ابن حزم بين ما فيه من تناقض، فأبو الوليد الباجي بين تناقضًا آخر بين نسخ التوراة، فنسخه تقول: «فنظر عورة أبيه»[(٤)]، وثانية تقول: «عريه»[(٥)]، ونسخة تقول: «يخدم أولاد سام»[(٦)]، وأخرى تقول: «يكون

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٨٢).
(2) تكوين، الإصحاح (١٠)، الفقرات (٦- ١١).
(3) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٢٣).
(4) سفر التكوين: الإصحاح (٩)، الفقرة (٢٢).
(5) في التوراة السامرية [سوءة أبيه] سفر التكوين: الإصحاح: (٩) الفقرة: (٢٢).
(6) في السامرية، سفر التكوين: الإصحاح (٩) الفقرة (٧).

عبدًا لجميع إخوته»[١][٢].

إبراهيم -عليه السلام- يحرم أولاده من الميراث

في التوراة: أن إبراهيم -عليه السلام- لما حضرته الوفاة ورث ماله إسحاق وحرم باقي أولاده»[٣].

يقول القرافي: «إن حال القدوم على الله تعالى يكون إبراهيم -عليه السلام- في غاية الأدب مع ربه، وحسن المعاملة لخلقه، لاسيما أولاده الذين أوجب الله عليه برهم، وحرم أذية قلوبهم، فكيف يجعل إبراهيم -عليه السلام وهو خليل الرحمن- هذا المؤلم خاتمة عمله عند حضور أجله؟

ثم يستدل بما جاء عن الرسول ﷺ على كذب اليهود، وذلك قوله: «وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله -عليه السلام-: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»[٤]، فنجزم بكذب اليهود»[٥].

لوط -عليه السلام- يزني بابنتيه ويتباطأ عن امتثال أمر الله تعالى

١- في التوراة: «لما أهلك الله أمة لوط -عليه السلام- ونجا بابنتيه فقط، توهمت ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلاً، فقالت الكبرى للصغرى: إنا أبانا لشيخ، ولم يبقَ في الأرض من يأتينا كسبيل البشر، هلمي نسقي أبانا خمرًا ونضاجعه؛ لنستبقي من أبينا نسلاً، ففعلتا، فولدت إحداهما

(1) يراجع: على التوراة (ص٥٧)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣١٠).
(2) الفقرة: سفر التكوين: الإصحاح (٩) الفقرة (٢٥).
(3) تكوين، الإصحاح (٢٥)، الفقرات (٥- ٧).
(4) أخرجه الإمام مسلم، ك: الجهاد والسير، باب: حكم الفيء، حديث رقم (١٧٥٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٧٦).
(5) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٩).

موابًا بمعنى: أنه من الأب، والثانية سمت ولدها عمون بمعنى: أنه من قبيلتها»[(١)].

يعلق القرافي على هذا الكلام مبينًا أنه منافٍ لما دلت عليه الأدلة من عصمة الأنبياء، وذلك قوله: «فما أجرأهم على أعراض الأنبياء، بل على دمائهم، مع أن العاقل يقطع بأن شرب لوط -عليه السلام- الخمر، وزناه بابنتيه كذب؛ لقيام الأدلة على عصمة الأنبياء -عليه السلام-[(٢)]، وأن الله شرفهم نسبًا وخلقًا وسيرة وسريرة، بحيث لا يوجد في نسب نبي ولا شيء من أحواله ما يكون سببًا للطعن عليه، وهو مقتضى الحكمة، وإلا لما صلح جعله رسولاً عن الله تعالى، ولما حصلت حكمة الرسالة بسبب نفور الخلق منه، واهتضامهم لجهته، بل أقل الملوك لا يعتمد مثل هذا، فكيف برب الأرباب؟

ثم يستبعد حصول التحبيل من شيخ كبير، ويحكم لذلك على التوراة بأنها مشتملة على الكذب فيقول: «تأمل كيف إذا سكر الشيخ الكبير يتأتى منه نكاح

---

(1) تكوين، الإصحاح (١٩)، الفقرات (٣٠- ٣٨).

(2) ذكر الإمام الرازي في كتابه «عصمة الأنبياء» خمسة عشر دليلاً على وجوب العصمة لهم- عليهم السلام-، منها:

١- لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم؛ لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن زجر الأنبياء -عليهم السلام- غير جائز؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فكان صدور الذنب عنهم ممتنعًا.

٢- لو صدرت المعصية عن الأنبياء -عليهم السلام- لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله -جهنم-؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤]، ولكانوا ملعونين؛ لقوله تعالى: ﴿ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وبإجماع الأمة هذا باطل، فكان صدور المعصية عنهم باطلاً. وغير ذلك من الأدلة. عصمة الأنبياء (ص٦) وما بعدها.

امرأتين وتحبيلهما معًا في الليلة الواحدة؟ فهذه القصة غارقة في البهتان، قاضية على التوراة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان».

وأيضًا: استدل الإمام القرافي على بطلان هذه القصة بأن فيها نسبة داود -عليه السلام- إلى أنه ابن زنا، وذلك قوله: «وأيضًا في هذه القصة نسبة داود -عليه السلام- إلى كونه ابن زنا؛ لأنه عندهم ابن بشاي بن عابد، وأم عابد يقال لها: روث الموابية -من بني مواب- فداود عندهم من هذه الذرية، لعنهم الله»[(١)].

وقد تناول هذه القصة بالنقد السموأل، وبين ما فيها من نسبة داود، والمسيح الذي ينتظره اليهود إلى الزنا، فقال: «وإذا كانت روث من ولد مواب، وهي جدة داود -عليه السلام- وجدة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوهما جميعًا من نسل الأصل الذي يطعنون فيه»[(٢)].

ويقول أبو البقاء الجعفري، في نقده لهذه القصة: «أبعد الله اليهود، كيف يحسن أن الله يبتلي من اصطفاه وارتضاه لرسالته بهذه الكبيرة؟ وكيف يحميه بالأمس، ويهتك ستره اليوم؟»[(٣)].

ويقول أبو الباجي في نقده لهذه القصة: «إن هذا لا يظن بلوط -عليه

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٨٠، ٨١). وقد بين الإمام القرافي سبب وضع هذه القصة في التوراة، وأنه يكمن في العداوة القائمة بين بني إسرائيل، وبين بني عمون وبني مواب، والتي سببها أن موسى-عليه السلام- كان قد وضع الأمانة في الهارونيين وبني إسرائيل، ثم استولى الداوديون عليهم، وهم من بني مواب، فلما كان الكاتب لهذه التوراة هارونيًّا لفق هذا المحال ليكون عارًا كبيرًا في بني عمون وبني مواب. يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٨١).

(2) بذل المجهود (ص١٤٩).

(3) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، (٢/ ٥٦٦).

السلام- يسكر بحيث يغيب عقله إلى هذا الحد، ولا أن يزني بابنتيه، ويحبلهما بولد زنا، بل لو وقع هذا لبعض آحاد الناس لما وسعته الأرض خزيًا وهمًّا، بل لو فعله غلامه لما أمكنه أن يراه بعد ذلك فضلاً عن أن يقيم عذره بعدم علمه»[(١)].

٢- في التوراة: «أن لوطًا -عليه السلام- لما أمره الله تعالى بالخروج من القرية الظالمة لم يسارع، وتباطأ عن الامتثال، حتى بقيت الملائكة تدفعه في ظهره دفعًا عنيفًا حتى أخرجوه كرهًا»[(٢)].

يقول القرافي: «إن خواص المؤمنين لا يشكون في أوامر الله تعالى، لاسيما مع وجود الملائكة المشاهدين بالحس، فكيف بحال الأنبياء حينئذٍ؟ كلا والله، بل بواطنهم مملوءة إجلالاً وتعظيمًا، وهم المخصوصون بدوام المراقبة لله تعالى انقيادًا، وتسليمًا، وما هي بأول جرأة لليهود على الأنبياء -عليهم السلام[(٣)].

يعقوب عليه السلام يجمع بين الأختين ويحتال على أبيه:

١- في التوراة: جمع إسرائيل -عليه السلام- بين أختين في عصمته، وهما إليا وراحيل، ابنتا لابان[(٤)].

يتعجب الإمام القرافي من جمع يعقوب -عليه السلام- بين أختين، وهو حرام بنص التوراة[(٥)].

---

(1) على التوراة (ص٧٤). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٣٣)، الإعلام (١٩٦).

(2) تكوين، الإصحاح (١٩)، الفقرات (١٥- ١٧).

(3) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٩). وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٥٩).

(4) تكوين، الإصحاح (٢٩)، الفقرات (٢١- ٣٠).

(5) في سفر اللاويين، الإصحاح الثامن عشر: «ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معًا في حياتها»، الفقرة (١٨).

ثم يبحث لهذا الفعل عن محمل يحمل عليه، فلعله قد نسخ بحكم آخر، لكن القرافي لا يقبل هذا الفرض، وذلك قوله: «وهم لا يعترفون بالنسخ»، ثم يحكم على ذلك بأنه من الكذب على يعقوب -عليه السلام-؛ إذ إنه نبي مكرم معصوم من الوطء الحرام[١].

وابن حزم في نقده لهذه القصة يحصر الفروض في فرضين:

١- إما أن يكون يعقوب -عليه السلام- أبقى أخت زوجته التي لم يتزوجها أسبوعًا ثم دخلت عليه زوجته، وهذا ما يؤيده نص التوراة الحالية، وهذا الفرض لا يقبله ابن حزم؛ لأن ما فيه هو عين الزنا، والله تعالى أعاذ أنبياءه من هذه السوأة.

٢- وإما أن يقولوا: لا بد أنه تزوجها لما علم أنها ليست زوجته، يقول ابن حزم، وهذا هو عين النسخ الذي ينكره اليهود؛ لأن نكاح الأختين حرام بنص توراتكم[٢].

ويقول أبو الوليد الباجي في نقده لهذه القصة: «مثل هذا لا يقدم عليه العقلاء، ولا من له دين ومروءة، فإنه يوقعه في المسبة والعار؛ لأن الأب يكون قد أعطى بنته غير المزوجة لمن ينكحها زنى مع منعه الزوج من زوجته التي يستحقها، والزوج يكون قد أخذ غير زوجته ينكحها زنى بغير تزويج، واتفق أرباب الشرائع أجمع على اشتراط التزويج في النكاح»[٣].

٢- في التوراة: «أن يعقوب -عليه السلام- احتال على أبيه إسحاق حتى

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٨٠).
(2) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٠، ١٤١).
(3) على التوراة (ص٨٠).

أخذ دعوته المستجابة التي كان إسحاق يريدها للعيص؛ لأنه كان يحبه أكثر، فيعقوب -عليه السلام- لبس حلة أخيه العيص، وجعل في ذراعه وعنقه جلد ماعز، فتمت مكيدته على أبيه ودعا له، وإن إسحاق -عليه السلام- لما اطلع على الحال تعجب، وقال: ليت شعري، من هذا الذي ذهب يدعوني؟»[(١)].

يقول الإمام القرافي: «جعلوا يعقوب -عليه السلام- كذب قولاً وفعلاً، ودلس وعق أباه وأخاه»، ثم يتعجب الإمام القرافي؛ إذ كيف يقبل دعاء لغير المدعُوِّ له، وذلك قوله: «ثم العجب، كيف يعتقدون صحة هذا، مع أنه إذا سلم لهم مثل هذا، فما دعاء إسحاق -عليه السلام- إلا للعيص؛ لأنه هو الذي اعتقده إسحاق -عليه السلام-، وأراده حال الدعاء، فهذه الحيلة لا تفيد شيئًا، وكيف يدعو إسحاق -عليه السلام- للعيص، فينصرف ليعقوب من غير قصده؟».

ثم يقول بعد ذلك: «فجمعت اليهود في هذا النقل بين سوء الأدب في حق الأنبياء -عليهم السلام- وبين الجهل بالحقائق»[(٢)].

وابن حزم في تناوله لهذه القصة بيَّن أن فيها خرافات وأكذوبات، منها: أن هذا مخالف لما جاء في تاريخ بني إسرائيل، وأنهم ما نالتهم بركة، بل كانوا على مر العصور خدامًا للأمم، وذلك قوله: «وفي هذا الفصل فضائح وأكذوبات، منها: إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه، وأعطى نعمته على طريقة الغش والخديعة، وحاشا لله من هذا».

ومنها: بطلان بركة إسحاق، إذ قال له: «تخدمك الأمم وتخضع لك

(1) تكوين، الإصحاح (٢٧)، الفقرات (٥- ٣٤).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٠).

الشعوب»[(١)]، «والله ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعده، ولا خضعت لهم الشعوب... بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة، وفي كل أمة، وهم خضعوا للشعوب قديمًا وحديثًا في أيام دولتهم وبعدها»[(٢)].

ويقول أبو الوليد الباجي في نقده لهذه القصة: «هذا الأمر لا ينطلي على عاقل، فكيف يشتبه على إسحاق أحد بنيه بالآخر؟ وأما لبس يعقوب خلقة عيسو[(٣)]، وربط جلود المعز على يديه وعنقه، فهب أن هذا يخفى عليه لعمائه، ولكنه لا يخفى عليه صوته أصلاً، وهذا أمر معلوم بضرورة العقل، وأيضًا: فالصلاح وولاية الله والنبوة لا تنال بالمجال[(٤)]، وأيضًا، فمن له من الرتبة أن يظهر له الرب ويكلمه[(٥)]، ويستجيب دعاءه، يخفى عليه هذا الأمر الظاهر؟»[(٦)].

---

(1) في التوراة: «قال الله تعالى لإسحاق: فأكون معك... وأباركك... وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض»، تكوين، الإصحاح (٢٦)، الفقرات (٣- ٥).

(2) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٣٨).

(3) في نسخة التوراة البابلية كما ذكر الباجي، وليس كما ذكر القرافي من أنه اسمه العيص، وفي السامرية اسمه: العيس. الإصحاح (٢٧)، الفقرة (١)، وهو قريب مما ذكره القرافي.

(4) لم أصل إلى معنى هذه الكلمة في كتب اللغة، ولعل الكلمة بالمحال، وهو صدور الاحتيال من الأنبياء، والله أعلم.

(5) في الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين: «فظهر الرب له -إسحاق- وقال: لا تنزل إلى أرض مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك» الفقرة (٢).

(6) على التوراة (ص٧٩). ويراجع: الإعلام (ص١٩٦)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦١).

روبيل -عليه السلام- يزني بسرية أبيه

في التوراة: «أن روبيل بكر يعقوب -عليه السلام- زنى بِسُرِّية[١] أبيه وافترشها، فلما حضرت يعقوب الوفاة قرعه وعيره بين إخوته، وقال له: بخست فراشي وامتهَنْته، لست أعطيك السهم الزائد[٢]، وكان من سنة إبراهيم -عليه السلام- توريث البكر سهمين، وغيره سهمًا[٣].

يقول الإمام القرافي: «فأي حكمة في ذكر هذه القبائح في التوراة، يعير بها سبط عظيم، ومآثر الآباء مفاخر الأبناء؟»، ثم بين أن هذا مناقض لما ورد في التوراة من أن إبراهيم -عليه السلام- أعطى ماله لإسحاق، وحرم إسماعيل، وذلك قوله: «ثم فيه من التناقض أن في التوراة أن إبراهيم -عليه السلام- ورث ماله ولده إسحاق وحرم إسماعيل»[٤]، وهي غفلة عظيمة من اليهود وجهالة بكتب الله تعالى، وما دخلها من التبديل والتغيير»، ثم ينفي صدق القصة؛ لما جاء عن رسول الله ﷺ من أن الأنبياء لا يورثون، وذلك قوله: «وأنتم معاشر المسلمين تعلمون أن سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب -صلوات الله عليهم-، قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»، فأخبر عن جميع الأنبياء -عليهم السلام- أنهم لا يورثون، وهؤلاء يخبرون في توراتهم أنهم يورثون، فيكون خبر المعصوم مقدمًا على خبرهم وبكون إخبارًا عن تبديل هذا

---

(1) السُّرِّية: بضم السين المشددة، وكسر الراء المشددة: الجارية المتخذة للملك والجماع، سمت بذلك؛ نسبة إلى السر، وهو الجماع، وضمة السين للفرق بين الحرة والأمة، وقيل سميت بذلك؛ لأنها موضع سرور الرجل. [لسان العرب (٤/ ٣٥٦)، القاموس المحيط (ص٥١٨)] مادة (سرر).

(2) تكوين، الإصحاح (٢٩)، الفقرات (٣- ٥).

(3) سفر التثنية، الإصحاح (٢١)، الفقرات (١٥- ١٨).

(4) تكوين، الإصحاح (٢٥)، الفقرات (٥- ٧).

الموضع»[١].

وقد ذكر هذه القصة أبو الوليد الباجي، وقال: «... أين هذا مما وعد الله تعالى يعقوب أن يباركه ويبارك زرعه، ويكون معه باطنًا وظاهرًا؟[٢]، ومما وعد أباه[٣] وجده؟[٤]»[٥].

يهوذا بن يعقوب يزني بكنته ثامور

في التوراة: «أن يهوذا بن يعقوب -عليه السلام- زنى بكنته[٦] ثامور، ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه، وصار شهرة في بني إسرائيل»[٧].

يقول الإمام القرافي: «مع أن يهوذا كان حظيًا عند أبيه دعا له بتخليد الملك

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٨٣).

(2) في سفر التكوين، في الإصحاح الثامن والعشرين: «أن يعقوب -عليه السلام- رأى الله في المنام، وقال له: أنا الرب، إله إبراهيم أبيك، وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض... ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض، وها أنا معك وأحفظك حيث تذهب»، الفقرات (١٢- ١٦).

(3) مباركة إسحاق في الإصحاح السادس والعشرين، من سفر التكوين، الفقرات (٢- ٧).

(4) مباركة إبراهيم -عليه السلام- في الإصحاح السابع عشر، من سفر التكوين، الفقرات (١- ١٠).

(5) على التوراة (ص٨٤). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٣)، بين الإسلام والنصرانية (ص٢٩٣، ٢٩٤)، الإعلام (ص١٩٧)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٧).

(6) الكنة -بالفتح-: امرأة الابن، وامرأة الأخ، والجمع: كنائن. يراجع: لسان العرب (١٣/ ٣٦٠)، مادة: كنن.

(7) تكوين، الإصحاح (٣٨)، الفقرات (١٠- ٢٧).

obeikandl.com

والنبوة في عقبه[١]، فلا نبوة يهوذا صانوها عما تليق بأدنى السفلة من الفاحشة، وسوء السمعة، ولا دعاء يعقوب -عليه السلام- صانوه من عدم الإجابة، بل أعقبوه بالعار والفضيحة، وذلك كله ينافيه ما للأنبياء من العصمة»[٢].

وقد تناول هذه القصة بالنقد السموأل، واستدل بما جاء فيها على وقوع النسخ الذي ينكره اليهود، وذلك قوله: «في هذه الحكاية دقيقة ملزمة للنسخ، وهي أن يهوذا لما أخبر بأن كَنته قد علقت من الزنى أمر بإحراقها[٣]، وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت مقتضية إحراق الزواني، وأن التوراة أتت بنسخ ذلك، وأوجبت الرجم عليهن[٤]»[٥].

الأسباط -عليهم السلام- يقتلون المؤمنين بغير ذنب:

في التوراة: «أن دينة ابنة يعقوب -عليه السلام- خرجت فرآها سجم بن حمور، رئيس القرية فافترسها، وأنزل العار بيعقوب -عليه السلام- فتنصل حمور إلى يعقوب -عليه السلام- وآمن والتزم الأحكام هو وأهل القرية، وأن بني يعقوب[٦] قالوا لأهل القرية: إن أحييتم سنتنا وديننا، فاختتنوا؛ لنصير شعبًا

(1) تكوين، الإصحاح (٤٩)، الفقرة (٨).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٨٣).
(3) تكوين: الإصحاح: (٣٨)، الفقرة: (٢٤).
(4) سفر التثنية، الإصحاح (٢٢)، الفقرات (٢٢- ٢٥).
(5) بذل المجهود (ص١٥٤، ١٥٥). ويراجع: الفصل (١/ ١٤٥)، بين الإسلام والمسيحية (ص١٩٥)، الإعلام (ص١٩٧)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٧)، الانتصارات الإسلامية (ص١٣٩)، هداية الحيارى (ص١٤٠)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (ص٦٥٦).
(6) في التوراة التي تحت يدي ليس جميع أبناء يعقوب هم الذين قتلوا أهل القرية، بل اثنان منهم وهما: «شمعون ولأوى» ، تكوين، الإصحاح (٣٤)، الفقرة (٢٥).

واحدًا، فلما اختتن كل أهل القرية دخلوا عليهم بالسلاح، وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم فقتلوهم أجمعين، وأخذوا أموالهم وحريمهم، ولما علم يعقوب بذلك هرب ليلاً على جمل وترك البلاد»(١).

يقول الإمام القرافي: «حكموا على الأنبياء أولاد يعقوب -عليهم السلام- بأنهم قتلوا المؤمنين، ومن لم يؤذهم بسبب من الأسباب، وانتهبوا الأموال والحريم بعد صدور الإسلام منهم، والإنابة إلى الله تعالى، المقتضين لحسن المعاملة، وبسط الإحسان»(٢).

ويقول أبو عبيدة الخزرجي في نقده لهذه القصة: «فما الفائدة في نزول هذا الحديث البشع من السماء على موسى بطور سيناء بعد زهاء أربعمائة سنة؟ يقرءوه الكهان في المعابد على أنه كلام منزل على موسى؟ وإنا لنرى دينة وإخوتها الأسباط وأباها يعقوب أكرم على الله تعالى من أن يجري هذا عليهم، وهم أهل البيت الذين نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم، فقال سبحانه: ﴿... رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣](٣).

ويضيف أبو الوليد الباجي: «أن هذا لا يكاد العقل يقبله أن يقدر اثنان على قتل أهل مدينة»(٤).

هارون -عليه السلام- يأمر بعبادة العجل:

في التوراة: «أن الذي أمر اليهود بعبادة العجل واتخاذه هو هارون عليه

(1) سفر التكوين، الإصحاح (٣٥) الفقرة: (٥).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٨٣، ٨٤).
(3) بين الإسلام والنصرانية (ص٢٩٧).
(4) على التوراة (ص٧٣). ويراجع: الفصل (١/ ١٤٣)، الإعلام (ص١٩٨)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٨)، الانتصارات الإسلامية (ص١٣٩).

السلام»[(١)].

يقول القرافي: «مع أن موسى -عليه السلام- استخلفه للإصلاح[(٢)]، فأمر بالكفر الصراح، وكذبهم دانيال في نبوته، فقال: إن الذي صنع العجل منحا السامري، وكان آباؤه يعبدون البقر[(٣)]، فاستتابه موسى ونفاه إلى الشام... وهذا موافق للقرآن الكريم»[(٤)].

داود -عليه السلام- يزني بزوجة أوريا

في التوراة: «أن داود -عليه السلام- اطلع من قصره فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها، فعشقها، وبعث إليها فحبسها أيامًا حتى حملت، ثم ردها، وكان زوجها يسمى أوريا غائبًا في العسكر، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت إلى داود -عليه السلام- فبعث داود إلى قائده على العسكر يأمره أن يبعث إليه بأوريا، فجاءه فصنع له طعامًا وخمرًا حتى سكر، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها، فينسب الحمل إليه، ففهم أوريا ذلك، فتجانب ولم يمش إلى أهله، فلما يئس داود -عليه السلام- منه رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن يصدر به

(1) سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (١- ٥).

(2) لم يأت في التوراة ما يدل على أن موسى -عليه السلام- استخلف هارون، وأمره بالإصلاح، بل جاء «وهو ذا هارون وحور معكم، فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهما»، خروج، الإصحاح (٢٤)، الفقرة (١٤)، لكن القرآن الكريم صرح بذلك، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(3) لم أجد ذلك في سفر دانيال، وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد أن السامري هو صانع العجل، ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ [طه: ٨٧، ٨٨].

(4) الأجوبة الفاخرة (ص١٥١).

القتال، مستقتلاً له، فقتل أوريا، وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف، ففزع القائد من داود -عليه السلام- لقتل العدد العظيم، فأرسل إلى داود، وقال للرسول: إذا أنت أخبرت داود بقتل السبعة آلاف، ورأيته قد غضب، فقل له سريعًا: إن أوريا قد قتل فيهم، ففعل الرسول، وسكن داود -عليه السلام- بعد الغضب، وسر بموت أوريا، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين»[(١)].

يقول الإمام القرافي في نقده لهذه القصة مبينًا أن كتابًا اشتمل على هذا لا يكون منزلاً من عند الله تعالى: «فانظر هذه الفواحش العديدة المنكرة، والصفات المستقذرة، هل تليق بأولى الديانات؟ فكيف بمعدن النبوات؟ وهل يحسن ذكرها من ذوي المروءات؟ فكيف يوحى بها إله الأرض والسماوات؟ ... ولو لم يكن في التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها، وأنها لفقت بالأهواء والأغراض»[(٢)].

سليمان -عليه السلام- يختم عمره بعبادة الأصنام

في التوراة: «أن سليمان بن داود -عليهما السلام- ختم عمره بعبادة الأصنام»[(٣)].

يقول الإمام القرافي: «كذبوا. قاتلهم الله، أنى يؤفكون، وصدق الله العظيم، وكتابه الكريم: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ

(1) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح (١١)، الفقرات (٨- ٢٦).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٨٧). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٧)، بذل المجهود (ص١٤٧)، بين الإسلام والمسيحية (ص٣١٣)، الإعلام (ص١٩٩). وقد استوفى هذه القصة وأجاب عنها جوابًا شافيًا الإمام الرازي في كتابه «عصمة الأنبياء» من (ص٦٣ إلى ص٧٢)، فلتراجع.
(3) سفر الملوك الأول، الإصحاح (١١)، الفقرات (١- ١١).

سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلعنة الله، ولعنة الملائكة عليهم، وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين»[١].

تعقيب عام للقرافي:

عد أن ذكر الإمام القرافي ما سبق من أخبار مخالفة لما هو ثابت للأنبياء من عصمة، عقب أن ما سبق يناقضه ما جاء من أخبار في التوراة فيها الثناء على هؤلاء الرسل، وذلك قوله: «ثم هذه الحكايات القبيحة، والأكاذيب الشنيعة تبطل بأن التوراة فيها من الثناء العظيم على هؤلاء الرسل الكرام، ثناء يتعذر معه مقاربة هذه الأمور، فضلاً عن ملابستها، وإذا أمعنت النظر بين الفصلين جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات، وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغيرات»[٢].

هذا: ولم يسلك هذا المسلك من السابقين واللاحقين غير الإمام القرطبي المحدث ، وما أجمله القرافي هنا فصل فيه القرطبي هناك، وذلك قوله: «من ذلك ما حكى فيها من مدح لوط على لسان إبراهيم، وشهادته له بالبر، وذلك أن الله لما أراد أن يهلك سدوم وعمورا -وهما مسكن لوط- قال إبراهيم -عليه السلام: يا رب، أتهلك الأبرار مع الفجار؟»[٣]؛ يعني بالأبرار: لوطًا وبنتيه، فسماهم أبرارًا، وشهد لهم بذلك بين يدي الله تعالى... وكذلك ما كتبوا فيها من الحكايات التي ذكرناها في ذرية إسحاق يعارضه ما حكوا فيها عن الله تعالى أنه قال لإبراهيم: «لأباركك بركة تامة، ولأكثر من نسلك، ويتبارك بنسلك جميع الشعوب؛ لأنك أطعتني»[٤]، وكذلك قال الله لإسحاق بعد موت إبراهيم: «أنا

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٨٨).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٨٨).
(3) تكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرة (٢٣).
(4) تكوين، الإصحاح (٢٢)، الفقرات (١٧ - ١٩).

معك أكون، وأباركك؛ لأني أعطيك، ونسلك جميع هذه الممتلكات، ويتبارك بنسلك جميع الشعوب»[(١)]، وكذلك قال إسحاق ليعقوب: «تعبدك الأمم، وتسجد لك الشعوب، كن رئيسًا لإخوتك، تسجد لك بنو أمك، فباركوك مباركون، ولاعنوك ملعونون»[(٢)]، ثم قال: «إذا أمعنت النظر، واشتد منك العبر، علمت أن هذه الحكايات بواطل، وأن ملحقها في التوراة وناسبها إلى الله متزندق جاهل»[(٣)].

والله أعلم

(1) تكوين، الإصحاح (٢٦)، الفقرات (٢- ٥).
(2) تكوين، الإصحاح (٢٧)، الفقرة (٢٩).
(3) الإعلام (ص٢٠١، ٢٠٢).

obeikandl.com

الفرع الخامس
بيان ما في التوراة من وصف الملائكة بما لا يليق

الملائكة خلق كريم على الله تعالى، شعارهم الخشية، وديدنهم الامتثال لأمر الله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، أجسامهم نور، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، ولا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة. وإن كتابًا يصف ملائكة الله تعالى بما لا يليق، يجعل المسلم يرتاب منه، ومن نسبته إلى الله تعالى، وهذا ما فعله الإمام القرافي تجاه التوراة في وصفها الملائكة بما لا يليق، إذ وجد فيها أمورًا لا تليق بحال الملائكة الكرام، ومن هذه الأمور:

يعقوب -عليه السلام- يتصارع مع المَلك ويغلبه

في التوراة: «أن يعقوب -عليه السلام- عند منصرفه طالبًا بلاده تصارع مع المَلك فغلبه يعقوب -عليه السلام-، وتألم ورك يعقوب، وصار المَلك في يده مقهورًا، حتى قال له: دعني وأبارك لك، فترك اليهود: أكل عرق الفخذ لذلك»[(١)].

يقول الإمام القرافي: «جعلوا الملائكة والأنبياء -عليهم السلام- مثل الصبيان يتصارعون، وأنهم في هيئة من يفزع قلبه وقالبه، وأعرض عن مراقبة مولاه، واشتغل بهواه»[(٢)].

وابن حزم في نقده لهذا الكلام يؤكد أن المصارع مع يعقوب -عليه السلام- هو الله تعالى مستدلاً بدلالة السياق، وذلك قوله: «هؤلاء وصفوا الله تعالى بفعل

(1) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٢٤- ٣٢).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٢).

أهل البطالة، ثم لم يكتفوا أن وصفوه بعجزه عن أن يصارع يعقوب عليه السلام، ويرفض ابن حزم قول من يقول: إن المصارع ملك من الملائكة بدليل قوله يعقوب -عليه السلام-: «كنت قويًّا على الله، فكيف على الناس»، وقوله: «رأيت الله مواجهة وسلمت نفسي»[١]، ثم قال ابن حزم: «وعلى فرض كونه ملكًا -كما يدعون- لكان من الخطأ تصارع ملك ونبي لغير معنى، فهذه صفة المتَّحِدَين في العنصر، لا صفة الملائكة والأنبياء»[٢].

واختار الباجي أيضًا استدلالاً بالسياق أن المصارع هو الله تعالى، وقال في نقده له: إن فيه نسبة عدم العلم إلى الله تعالى؛ لأنه سأله عن اسمه، وفيه: أن الله تعالى يتعامل بالعوض؛ لأنه لم يباركه إلا إذا أطلقه[٣].

الملائكة تأكل اللحم والفطير:

في التوراة: «أن إبراهيم -عليه السلام- لما مرت به الملائكة لهلاك سدوم وعامور -مدائن قوم لوط عليه السلام- أضافهم وأطعمهم خبزًا ولحمًا، وسقاهم سمنًا ولبنًا[٤]، ولما أتوا عند لوط -عليه السلام- عشاهم فطيرًا[٥].

يقول الإمام في نقده لهذا الكلام مخاطبًا اليهود:

كيف تقولون: إن الملائكة أكلت عند إبراهيم ولوط -عليهما السلام-

---

(1) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٢٨، ٣٠).
(2) يراجع: الفصل، (١/ ١٤١، ١٤٢).
(3) يراجع: على التوراة (ص٨٢، ٨٣). ويراجع: بين الإسلام والنصرانية (ص٣٠٦)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٢٦٩)، هداية الحيارى (ص١٤٠)، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح (١/ ١٧٥).
(4) تكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرات (١ - ٩).
(5) تكوين، الإصحاح (١٩)، الفقرة (٣).

وتنكرون النعيم الجسماني في الجنة قائلين: إنه لا طعام في الجنة، ولا شراب ولا نكاح؟[1] بل حال أهل الجنة، كحال الملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

ثم يقسِّم القرافي المسألة إلى أمرين ويسبرهما فيقول: «فإن كان هذا صحيحًا، فإنكارهم على المسلمين باطل، وإن كان باطلاً فتكون التوراة مشتملة على الباطل، فهي مشتملة على الباطل على كل تقدير»، ثم يقول: «مع أنا نقطع بأن الملائكة -صلوات الله عليهم- لم يأكلوا عندهما شيئًا لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ ﴾ [هود: ٧٠]، فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بل أجسام روحانية، غذاؤهم روحاني لا يعرفه اليهود»[2].

والله أعلم

(1) يراجع: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، لابن كمونه اليهودي (ص٢٧)، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.

(2) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٨٢، ص١٤٩).

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الثالث
موقف اليهود من النسط ورد القرافي عليهم

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: تعريف النسخ وبيان حكمته.

المسلك الثاني: شبه اليهود على النسخ ورد القرافي عليها.

obeikandl.com

obeikandl.com

المسلك الأول
تعريف النسط وبيان حكمته

أولاً: تعريف النسخ:

النسخ لغة: الإبطال والتغيير والإزالة.

جاء في «لسان العرب»: «النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، وفي التنزيل: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ونسخ الشيء بالشيء ينسخه، وانتسخه: أزاله به، والشيء ينسخ الشيء نسخًا؛ أي: يزيله، ويكون مكانه، والعرب تقول: نسخت الشمس الظل، وانتسخته: أزالته»(١).

وفي القاموس المحيط: «نسخ الآية بالآية: إزالة حكمها، ونَسَخَهُ: غَيَّرَهُ، ونسخت الريح آثار الديار: غيرتها»(٢).

والنسخ شرعًا: أن يرد دليل شرعي متراخيًا عن دليل شرعي مقتضيًا خلاف حكمه(٣)، وليس معنى النسخ أن الله أمر أو نهى أولاً، وما كان يعلم عاقبته، ثم بدا له، فنسخ الحكم الأول؛ لئلا يلزم الجهل، بل معناه: أن الله تعالى كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقيًا على المكلفين إلى الوقت الفلاني، ثم ينسخ، فلما جاء

---

(1) لسان العرب (٣/ ٦١)، مادة (نسخ).

(2) تاج العروس (١٨٥٦)، مادة (نسخ).

(3) يراجع: اللمع في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشيرازي (ص٢٩)، دار/ الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ. الإحكام في الأصول الأحكام، لسيف الدين الآمدي (٣/ ١٠٤، ١٠٥)، ت/ عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ. الغنية في أصول الدين (ص١٥٥).

الوقت كان حكم آخر، ظهر منه الزيادة أو النقصان، أو الرفع مطلقًا[١].

ولا يشترط أن يُعلم الله عباده بوقت النسخ قبل وقوعه، يقول ابن حزم: «ليس معنى النسخ إلا أن يأمر الله عز وجل أن يُعْمَل عملٌ ما مدة، ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة، ولا فرق في شيء من العقول بين أن يعرف الله عباده، ويخبرهم بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به، ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك، وبين أن لا يعرفهم به؛ إذ ليس عليه شرط بأن يعرف عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأتي الوقت الذي يريد إلزامهم فيه الشريعة»[٢].

والنسخ لا يطرأ على القصص ولا على الأمور القطعية العقلية، مثل: أن صانع العالم موجود، ولا على الأمور الحسية، مثل: ضوء النهار، وظلمة الليل، ولا على الأدعية، ولا على الأحكام التي تكون واجبة نظرًا إلى ذاتها، مثل «آمنوا، ولا تشركوا»، ولا على الأحكام المؤبدة، مثل قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ﴾ [النور: ٤]، ولا على الأحكام المؤقتة، ولما يأتي وقتها كقوله تعالى: ﴿... فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: ١٠٩]، بل يكون في الأحكام العملية التي تحتمل الوجود، والعدم، وغير المؤبدة، ولا المؤقتة[٣].

ثانيًا: الحكمة من النسخ:

إن معرفة الحكمة تريح النفس، وتزيل اللبس وتعصم من الوسوسة والدس، ولذا يجدر بنا أن نذكر حكمة الله تعالى في النسخ، فنقول: إن لله حكمًا

---

(1) يراجع: إظهار الحق (١/ ٣٤٥)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٩).

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠١).

(3) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٣)، إظهار الحق (١/ ٣٤٥)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٩)، غاية الوصول إلى دقائق علم الأصول، د. جلال الدين عبد الرحمن (ص٣٨)، دار الصفوة، ذيل الفارق بين المخلوق والخالق (ص٤٨).

كثيرة في النسخ، منها:

١- أن الأعمال البدنية إذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة، وظُنَّ أنها مطلوبة لذاتها، فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده، بخلاف ما إذا تغيرت تلك الطرق، وعلم أن المقصود من الأعمال إنما هو دعاية أحوال القلب والروح في المعرفة والمحبة، فإن الأوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر إلى تطهير السرائر[(١)].

٢- أن الخلق طبعوا على الملالة من الشيء، فُوضِعَ في كل عصر شريعة جديدة؛ لينشطوا في أدائها[(٢)].

ومن الحكم في نسخ ديننا الحنيف لسائر الأديان قبله:

١- إظهار شرف نبينا ﷺ؛ فإنه نسخ بشريعته شرائعهم، وشريعته لا ناسخ لها؛ لأنه نبي الساعة[(٣)].

٢- نسخ ديننا لسائر الأديان قبله راجع أيضًا إلى أن تشريعه أكمل تشريع يفي بحاجات البشرية في مرحلتها التي انتهت إليها بعد أن بلغت أشدها واستوت.

وبيان ذلك:

أن النوع الإنساني تقلب كما يتقلب الطفل في أدوار مختلفة، ولكل دور من هذه الأدوار حال تناسبه، غير الحال التي تناسب دورًا غيره، فالبشر أول عهدهم بالوجود كانوا كالوليد في أول عهده بالوجود سذاجة وبساطة وضعفًا وجهالة،

(1) يراجع: المطالب العالية من العلم الإلهي، (١/ ١٢٤).
(2) غاية الوصول إلى دقائق علم الأصول (ص٢٢).
(3) الجواب الفسيح: (٢/ ٤١٧).

ثم أخذوا يتحولون من هذا العهد رويدًا رويدًا، ومرت عليهم أعراض متباينة من ضآلة العقل، وعماية الجهل، وطيش الشباب، وغشم القوة على تفاوت في ذلك بينهم، اقتضى وجود شرائع مختلفة لهم، حتى إذا بلغ العالم أوان نضجه واستوائه وربطت مدنيته بين أقطاره وشعوبه جاء هذا الدين الحنيف ختامًا للأديان، ومتممًا للشرائع، وجامعًا لعناصر الحيوية ومصالح البشرية، ومرونة القواعد بين مطالب الروح والجسد، وآخى بين العلم والدين، ونظم علاقة الإنسان بالله، وبالعالم كله... مما جعله بحق دينًا عامًّا خالدًا إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها»[1].

والله أعلم

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢/ ١٩٤، ١٩٥)، دار/ إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

obeikandl.com

المسلك الثاني
شبه اليهود على النسخ ورد القرافي عليها

النسخ عند اليهود:

يتفق اليهود فيما بينهم على شيء واحد، وهو أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ شريعتهم، ولكنهم يفترقون فيما عدا هذه الجزئية ثلاث فرق، لكل منها موقفها الخاص من النسخ.

فالشمعونية(١) تقرر أن النسخ لا يجوز عقلاً، ولم يقع سمعًا، وهؤلاء هم الذين يربطون بين النسخ والبداء، ويرفضون النسخ لما يتوهمون فيه من البداء، وهم الذين يقولون: إن النسخ فيه قلب للحقائق -كما سيأتي-.

والعنانية(٢) ترى أنه لا بأس بالنسخ في حكم العقل، لكنه لم يقع.

والعيسوية(٣) تذهب إلى أن النسخ جائز في حكم العقل، وأنه قد وقع فعلاً، لكنها تمنع أن تكون شريعة محمد ﷺ ناسخة لشريعة موسى -عليه السلام-؛ لأن

---

(1) نسبة إلى شمعون الصديق الذي كان واليًا على القدس عند قدوم الإسكندر إليها. المواعظ والاعتبار: (٣/ ٧٣٣).

(2) نسبة إلى رجل يقال له: عنان بن داود، وهذه الفرقة تخالف اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى في مواعظه وإشاراته، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته. يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٩٩)، الملل والنحل (١ / ٢١٥).

(3) نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، الذي كان في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية، فاتبعه بشر كثير من اليهود، كان يزعم أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر، وأن الله كلمه، وكلفه أن يخلص اليهود من أيدي الأمم، وكان يحرم الذبائح كلها، وينهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق. يراجع: الفصل (١/ ٩٩)، الملل والنحل (١/ ٢١٥) وما بعدها.

رسالة محمد ﷺ كانت خاصة بالعرب، ولم تكن لجميع الناس»[(١)].

ومن خلال ما سبق يظهر أن اليهود لم يتفقوا فيما بينهم على الربط بين النسخ والبداء، وأن ما درج عليه المؤلفون في هذه القضية فيه نظر؛ لأنه كما يظهر من الكلام السابق أن العنانية تجيزه عقلاً، والعيسوية لا ينكرون وقوعه، ولو أن بين النسخ والبداء عند اليهود جميعًا تلازمًا، لما أجاز فرقتان من فرقهم صحته عقلاً، ولما قالت العيسوية بوقوعه[(٢)].

وبعد بيان موقف اليهود من النسخ نذكر شبههم التي ذكرها القرافي عنهم أولاً، ثم جواب القرافي عنها:

أولاً: شبه اليهود:

الشبهة الأولى: قالوا: إن المسلمين يدعون أن الشريعة المحمدية نسخت كثيرًا من أحكام التوراة، كتحريم الشحوم[(٣)]، ولحوم الإبل[(٤)]، وصيد

---

(1) يراجع: النسخ في القرآن الكريم «رسالة دكتوراة منشورة» د. مصطفى زيد (١/ ٢٧) وما بعدها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٨٣هـ. ١٩٦٣م. نظرية النسخ في الشرائع السماوية، د. شعبان محمد إسماعيل (ص٢٧) وما بعدها، دار/ السلام، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ.

(2) ينظر: نظرية النسخ (ص٢٨).

(3) ورد تحريم الشحوم في الإصحاح الثالث من سفر اللاويين «فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم، لا تأكلوا شيئًا من الشحم، ولا من الدم» الفقرة (١٧).
وفي القرآن الكريم: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(4) في سفر التثنية، الإصحاح الرابع عشر: «وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا، وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر، ومما يشق الظلف المنقسم، الجمل والأرنب والوبر... فهي نجسة لكم» الفقرة (٧).
وفي القرآن الكريم: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ...﴾ ذكر ابن كثير في

السبت[١]، ومخالطة الحائض[٢]، وتحريم اليسير من الخمر[٣] ونحو ذلك،

=

«تفسيره» (ج٢/ ص١٨٨): أن كل ذي ظفر -كما قاله ابن عباس-: هو الإبل والنعام.
وقد جاء نسخ تحريم الشحوم والإبل في شريعتنا في قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: «واعلم أن هذه السورة مكية بيَّن الله فيها أنه لا محرم إلا هذه الأربعة، ثم أكد ذلك في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [النحل: ١١٥]، وكلمة «إنما» تفيد الحصر، فقد حصلت لنا آيتان مكيتان يدلان على حصر المحرمات في هذه الأربعة، وبين في سورة البقرة، وهي مدنية أنه لا محرم إلا هذه الأربعة، فقال: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣]» [التفسير الكبير (١٣/ ١٧٩، ١٨٠)].

(1) جاء تحريم السبت في التوراة في سفر الخروج، الإصحاح (١٦)، الفقرات (٢٢- ٢٩)، والإصحاح (٣٥)، الفقرات (١- ٣)، وفي سفر اللاويين، الإصحاح (١٦)، الفقرة (٢١)، والإصحاح (٢٣)، الفقرة (٣).
وقد ذكر القرآن الكريم تعديهم في السبت، مما يدل على أنه كان محرمًا عليهم، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(2) في التوراة: «أن الحائض نجسة سبعة أيام، وكل من مسها يكون نجسًا، وكل ما تضطجع عليه يكون نجسًا، وكذلك كل من مس فراشها، أو مس متاعًا تجلس عليه» سفر اللاويين، الإصحاح (١٥)، الفقرات (١٩- ٢٤).
وقد جاء في شريعتنا: أن كل شيء يباح من الحائض إلا الجماع، قال ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**» [رواه مسلم، ك: الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث رقم (٣٠٢)، ورواه الإمام أحمد، حديث رقم (١٢٣٧٦)، (٣/ ١٣٢)، عن أنس].
وعن أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض» [رواه مسلم، ك: الحيض، باب: مباشرة الحائض فوق الإزار، حديث رقم (٢٩٤)].

(3) تعارضت نصوص كتب اليهود في تحريم الخمر وتحليلها، فتارة تخبر بأن الخمر مباركة،
=

والنسخ محال؛ لأنه يقتضي تجويز البداء[(١)]، أو الندم على الله تعالى، وهو محال فالنسخ محال، فتكون شريعة التوراة مستمرة إلى قيام الساعة، والشريعة المدعية للنسخ باطلة، وهو المطلوب[(٢)].

الشبهة الثانية: قالوا: النهي يعتمد المفاسد الخالصة أو الراجحة، فلو جاز نسخه بعد ذلك؛ لزم تجويز أمر الله وإذنه في فعل المفاسد الخالصة أو الراجحة، وذلك على الله تعالى محال، بناء على التحسين والتقبيح؛ لأن الفعل إن كان مصلحة في نفسه وجب ألا يحرم، وإن كان مفسدة وجب ألا يؤمر به، فالقول

=

كما جاء في سفر التثنية: «ويبارك ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، وقمحك وخمرك وزيتك» [الإصحاح (٧)، الفقرة (١٣)، وتارة يأمر الأنبياء بشربها، ويشربونها الناس، كما فعل داود مع بني إسرائيل. يراجع: سفر صموئيل الثاني، الإصحاح (٦)، الفقرة (١٨).

وتارة ثالثة تأمر بعدم شربها، وأن شاربها مستحق العقاب، فقد جاء «من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل، وخمرًا ومسكرًا لا تشرب» سفر القضاة، الإصحاح (١٣)، الفقرة (١٤)، وجاء أيضًا: «لمن الويل؟ لمن الشقاوة؟ ... للذين يدمنون الخمر» سفر الأمثال، الإصحاح (٢٣)، الفقرة (٢٩).

وقد جاء التصريح بالتحريم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

(1) البداء في اللغة: الظهور، تقول: بدا الشيء يبدو بدوًا، وبداء: ظهر، وبدا له في الأمر: نشأ له فيه رأي آخر [لسان العرب (١٤/ ٦٥)، تاج العروس (٨٢٨٦/ ٨٢٨٧) مادة: (بدا).

وفي الاصطلاح: استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم، كأن يستصوب المرء رأيًا، ثم ينشأ له رأي جديد لم يكن معلومًا له. يراجع: الناسخ والمنسوخ، لقتادة بن دعامة السدوسي (ص٦٣)، ت/ د. حاتم صالح الضامن، الرسالة، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٩هـ، التعريفات، (ص٦٢).

(2) الأجوبة الفاخرة (ص٥٩).

بالنسخ يؤدي إلى انقلاب الحقائق، بأن يصير الحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، وقلب الحقائق محال، فالنسخ محال[١].

الشبهة الثالثة: تمسكوا بنصوص من التوراة تفيد دوام شريعة موسى -عليه السلام- من هذه النصوص: «تمسكوا بالسبت أبدًا»[٢]، «تمسكوا بالسبت ما دامت السماوات والأرض»[٣]، وقالوا: هذه نصوص متواترة، والتواتر حجة، فتكون شريعة السبت باقية، والقول بنسخها باطل[٤].

ثانيًا: رد الإمام القرافي على تلك الشبه:

سلك الإمام القرافي في رده على ما ذكر اليهود من شبه -تعللوا بها في إنكارهم النسخ طريقين-: فطريق فنَّد فيه شبههم وأبطلها، وطريق ذكر فيه الأدلة على جواز النسخ ووقوعه.

الطريق الأول: تفنيد الإمام القرافي للشبه:

١- الرد على الشبهة الأولى:

١- أجاب الإمام القرافي عن الشبهة الأولى التي مبناهما أن النسخ محال لما فيه من الندم والبداء، بأن البداء والندم يقومان على الجهل، والجهل محال عليه تعالى، وذلك قوله: «النسخ ليس فيه بداء ولا ندم؛ لأن الندم والبداء أن يظهر ما لم يكن ظاهرًا قبل ذلك، كما يبدو للإنسان في سفره أو يندم عليه إذا ظهر له أن الإقامة هي المصلحة، وقبل ذلك كان جاهلاً لمصلحة الإقامة، والله سبحانه

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٥٩)، شرح تنقيح الفصول (ص٢٨١).
(2) سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرات (١٦، ١٧).
(3) لم أجد هذا النص في التوراة التي تحت يدي، ولعله في نسخة اطلع عليها القرافي، وليست موجودة اليوم.
(4) شرح تنقيح الفصول (ص٢٨٣).

وتعالى بكل شيء عليم».

ثم يتخيل الإمام القرافي أن التباس النسخ بالبداء لعله من عدم فهم معنى النسخ، فيبين الإمام القرافي معناه، وأنه مفارق للبداء، فيقول: «لكن معنى النسخ: أن الله سبحانه وتعالى علم في الأزل أن تحريم الشحوم مثلاً مصلحة للمكلفين في الآن الفلاني، ومفسدة للمكلفين في الزمن الفلاني، ويعلم في الأزل أنه تعالى يشرعه في وقت المصلحة، وينسخه في وقت المفسدة، فالحكم الناسخ والحكم المنسوخ كلاهما معلوم لله تعالى أزلاً وأبدًا، ولم يتجدد في العلم ما لم يكن معلومًا حتى يلزم البداء، بل الأحكام تابعة لمصالح الأوقات واختلاف الأمم، وليس في هذا شيء من المحال»[(١)].

٢- ويدفع القرافي أيضًا نفي اليهود للنسخ لما فيه من الندم والبداء بأن ما أنكروا لأجله النسخ موجود في توراتهم فيقول: «في التوراة ما هو أشد من الندم والبداء، ففيها مرض ملك اليهود حزقيال، فأوحى الله تعالى إلى إشعياء -عليه السلام-: قل لحزقيال يوصي فإنه يموت من علته هذه، فأخبره، فبكى حزقيال، وتضرع، فأوحى الله تعالى إلى إشعياء أنه يقوم من علته، وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام، وقد زيد في عمره خمس عشرة سنة»[(٢)].

ثم يعقب قائلاً: «فمستندهم في إحالة النسخ على البداء يبطل بمثل هذا إلزامًا لهم»[(٣)].

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٥٩).

(2) سفر الملوك الثاني، الإصحاح (٢٠)، الفقرات (١- ٦)، سفر إشعياء، الإصحاح (٣٨)، الفقرات (١-٦).

(3) نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩). وينظر أيضًا: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٥٠)، إظهار الحق (١/ ٣٦٤).

ويعالج ابن حزم هذه القضية -إنكارهم النسخ لما فيه من البداء- بأن ما أنكروا لأجله النسخ هم يعتقدونه لوجوده في توراتهم، فيقول: «في توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ؛ وذلك لأن فيها أن الله قال لموسى -عليه السلام-: سأهلك هذه الأمة، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل، حتى أجابه، وأمسك عنهم[١]، وهذا هو البداء بعينه»[٢].

والسموأل يلزمهم من توراتهم إما أن يقولوا بالنسخ الذي يرفضونه، أو يقبلوا البداء الذي يحيلونه، فيقول لهم: «أليس عندكم أن الله تعالى اختار من بني إسرائيل الأبكار ليكونوا خواصَّ في الخدمة للأقداس؟»[٣]، ثم يجيب عنهم بقوله: «فيقولون: بلى»، فنقول لهم: «أليس عندكم أن موسى -عليه السلام- لما نزل من الجبل وبيده الألواح، ووجد القوم عاكفين على العجل، وقف بطرف العسكر ونادى: من كان لله فليحضرني، فانضم إليه بنو ليوي، ولم ينضم إليه البكور»[٤]؟

على أن مناداته، وإن كان لفظها يقتضي العموم لم يكن أشار بها إلا إلى البكور؛ إذ هم خاصة الله يومئذٍ دون أولاد ليوي، فلما خذله البكور، ونصره أولاد ليوي، قال الله لموسى: «قد أخذت الليويين عوضًا عن كل بكر في بني إسرائيل»[٥].

---

(1) سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٩- ١٥).
(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١٠١).
(3) سفر الخروج، الإصحاح (١٣)، الفقرة (١).
(4) سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (١٩- ٢٧).
(5) الإشارة إلى ذلك في سفر التثنية، الإصحاح (١٠)، الفقرة (٨).

ثم يقول: «وهم لا يقدرون على إنكار ذلك، وهذا يلزمهم منه القول بالبداء أو النسخ»[١].

والألوسي يدفع شبهة البداء بأن هذا بيِّن البطلان؛ لأن النسخ تابع للمصالح، وهي راجعة لأحوال المكلفين وأزمانهم، وذلك لا يستلزم البداء، بل ولا يقتضي أن الله تعالى ظهر له شيء بعد أن لم يكن[٢].

٢- الرد على الشبهة الثانية:

يجيب الإمام القرافي على شبهة اليهود الثانية، التي مفادها أن النسخ محال؛ لأنه يؤدي إلى انقلاب الحقائق طردًا لقاعدة التحسين والتقبيح العقليين بقوله: «إنا نمنع قاعدة الحسن والقبح»، ثم يسلم بتلك القاعدة، وينفي استلزام النسخ لقلب الحقائق؛ لأن النسخ تابع للمصلحة، وهي متغيرة بحسب الأزمنة والأشخاص، وذلك قوله: «أو نسلمها ونقول: لم لا يجوز أن يكون الفعل مفسدة في وقت، مصلحة في وقت آخر، وذلك معلوم بالعوائد، بل اليوم الواحد يكون الفعل فيه حسنًا في أوله، قبيحًا في آخره، كما نقول في الأكل والشرب ولبس الفراء وشرب الماء البارد وغيره، ويحسن جميع ذلك ويقبح باعتبار وقتين من الشتاء والصيف، والحر والبرد، والصوم والفطر، والشبع والجوع، والصحة والسقم»[٣].

ويقول ابن حزم في دحض نفيهم النسخ لما فيه من قلب الحقائق:

«من تدبر أفعال الله كلها وجميع أحكامه وآثاره في هذا العالم تيقن بطلان

---

(1) ينظر: بذل المجهود (ص٩٩- ١٠٢).
(2) يراجع: الجواب الفسيح (٢/ ٤١٧، ٤١٨).
(3) شرح تنقيح الفصول (ص٢٨١).

قولهم هذا؛ لأن الله تعالى يحيي ثم يميت، ثم يحيي، وينقل الدولة من قوم أعزة إلى قوم أذلة، ويمنح من يشاء ما شاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ثم نقول لهم: ما تقولون فيمن كان قِبَلكم من الأمم المقبول دخولها فيكم إذا غزوكم؟ أليس دماؤهم لكم حلالاً، وقتلهم حقًّا وفرضًا وطاعة؟ ولا بد من نعم، فنقول لهم: فإن دخلوا في شريعتكم أليس قد حرمت دماؤهم، وصار عندكم قتلهم حرامًا وباطلاً ومعصية، بعد أن كان فرضًا وحقًّا وطاعة؟ ولا بد من نعم، ثم إن عَدَوْا في السبت وعملوا أليس قد عاد قتلهم فرضًا بعد أن كان حرامًا؟[1]، فلا بد من نعم، فهذا إقرار منهم ببطلان قولهم، وإثبات منهم لما أنكروه من أن الحق يعود باطلاً، والأمر يعود نهيًا، وأن الطاعة تعود معصية[2].

٣- الرد على الشبهة الثالثة:

يجيب الإمام القرافي على ما تمسك به اليهود من أن شريعة التوراة أبدية تمسكًا بما نقلوه من التوراة.

بأن هذا النقل غير صحيح، ولا يصح الاعتماد عليه؛ لانقطاع عدد اليهود[3]، وبالتالي انقطع التواتر وعلى فرض صحته، فليس المراد من لفظ التأبيد

(1) جاء في سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرات (١٢- ١٥)، الأمر بتعظيم السبت، وأن من دنسه يقتل، ومن عمل فيه عملاً يقتل.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠٠).

(3) يقول الإمام القرافي: «وربما خطر بالبال: كيف يعدم اليهود مع تفرقهم في أقطار الأرض؟ فإن العادة تحيل ذلك. ويجيب بقوله: إن اليهود من وقت خروجهم من مصر مع موسى -عليه السلام- وغرق فرعون لم يسكنوا إلا في موضع واحد في التيه، ثم انتقلوا بجملتهم للبيت المقدس، فوجدهم بختنصر هناك بجملتهم، وبقي بعده جماعة يسيرة خرجوا مع دانيال النبي إلى مصر، فأخذهم بختنصر من مصر، وقتلهم، وخرب =

المعنى الظاهر منه، بل المراد به المدة الطويلة.

ثم يسوق نصوصًا من التوراة ورد فيها لفظ التأبيد، ولم يحمله اليهود على ظاهره، ولا يمكن حمله على ظاهره، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من التسوية بين المتماثلين.

ومن هذه النصوص:

١- جاء في التوراة أن العبد يستخدم ست سنين، ثم يعتق في السابعة، فإن أبى العتق، فلتثقب أذنه، ويستخدم أبدًا[(١)]. يقول القرافي: «مع تعذر الاستخدام أبدًا، بل المقصود بالأبدية فترة العمر فقط».

٢- وجاء فيها: أن البقرة التي أمروا بذبحها تكون لهم سنّة أبدًا[(٢)]، يقول الإمام القرافي: «ومعلوم أن ذلك ينقطع بخراب العالم، وقيام الساعة».

٣- وجاء فيها: قربوا إليَّ كل يوم خروفين، خروفًا غدوة، وخروفًا عشية قربانًا دائمًا لأحقابكم[(٣)]. يقول القرافي: «وهم لا يفعلون ذلك»[(٤)].

ويذهب أبو البقاء الجعفري: إلى أن النص الذي تمسك به اليهود إنما هو من وضعهم، لما أُلْزِموا بما في التوراة والنبوات من الأحكام التي نسخت، ويذهب أيضًا إلى أنه ليس معناه ما قصدوه من التأبيد الذي لا ينقطع؛ إذ يحتمل أن يكون

=

إقليم مصر... ثم يقول: واليهود تسلم ذلك، ولا تنازع فيه، أعني: عدم التفرق واجتماعهم أبدًا في مكانٍ واحد» [نفائس الأصول (٣/ ٢٤١، ٢٤٢)].

(1) سفر التثنية، الإصحاح (١٥)، الفقرات (١٢- ١٨).

(2) سفر العدد، الإصحاح (١٩)، الفقرة (١٠).

(3) سفر العدد، الإصحاح (٢٨)، الفقرات (١- ٥).

(4) يراجع: شرح تنقيح الفصول (ص٢٨٣).

في الكلام حذفٌ، والتقدير: تمسكوا بالسبت أبدًا ما لم يأتكم نبي يأمركم بحله، ثم يقول: والدليل على هذا الاحتمال أنه لو قرن بآخر الكلام وسيق معه لم يتناقض ولم ينب عنه، وإذا كان الكلام يقبله حملناه عليه؛ إذ نبوة عيسى ومحمد – عليهما الصلاة والسلام– لا سبيل إلى ردها.

ويذهب أيضًا: إلى أن لفظ التأبيد ليس على ظاهره، بل هو لدهر مخصوص، وزمان مؤقت بدليل قول الله لنوح: «لا تسكن روحي في البشر إلى الدهر»[(١)]، ثم ملئ صانع قبة الرُّمان[(٢)] من روح الله تعالى[(٣)]، فواضح أن لفظة الدهر لا تقتضي التأبيد.

ثم يكثر الأدلة من التوراة على أن اللفظة لا تفيد التأبيد، ثم يعقب قائلاً: «وإذا قد ثبت بهذه النصوص أن لفظ الدهر لا يقتضي التأبيد... فكذلك لفظ الدهر في تحريم السبت»[(٤)].

الطريق الثاني: أدلة القرافي على جواز النسخ ووقوعه:

الدليل العقلي: يستدل الإمام القرافي على جواز النسخ من ناحية المعقول بأن فيه مراعاة المصالح، ومراعاة المصالح جائزة... على الله تعالى، وهذا يدل على أن النسخ جائز، وهذا قوله: «النسخ على وفق رعاية المصالح، ورعاية المصالح

---

(1) في سفر التكوين: «فقال الرب لنوح: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد» الإصحاح (٦)، الفقرة (٣).

(2) صانع قبة الرمان هو بصلئيل بن أوري بن حورا من سبط يهوذا. ينظر: سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرة (١).

(3) سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرات (١– ٤).

(4) يراجع: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٥٠– ٥٥٣). وينظر: الجواب الفسيح (٢/ ٤١٨).

جائزة على الله تعالى، فالنسخ جائز».

بيان أن النسخ على وفق رعاية المصالح:

أن الأمم مختلفون في القوة والضعف، واليسار والإعسار، ولين القلوب وغلظها، وإقبالها وعتبها، بل الإنسان الواحد تختلف أحواله في الأزمنة المختلفة، فإذا شرع الله حكمًا لمعنى، ثم تغير ذلك المعنى، فمقتضى رعاية المصالح، نسخ ذلك الحكم إلى ضده، أو نقيضه، كما وجب الذبح على إبراهيم لإسحاق -عليهما السلام-[1] ليظهر الإنابة والتسليم لقضاء الله تعالى من الاثنين، فلما ظهر ذلك وحصلت مصلحة الابتلاء، فرعاية المصالح تقضتي نسخ وجوب الذبح،

---

(1) يذهب القرافي هنا، وفي مواضع كثيرة من كتبه.

يراجع: نفائس الأصول (١/ ٥٥٠)، (٢/ ٣٨٢)، ٣/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٤)، إلى أن الذبيح هو إسحاق، وهذا مروي عن عمر، وعلي، والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود من الصحابة، وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل من التابعين.

والمشهور: أن الذبيح هو إسماعيل -عليه السلام-، وهذا قول ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسين، والشعبي، ومجاهد، والكلبي، وغيرهم، وهو الراجح.

يقول ابن كثير: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق -عليه السلام-... وليس ذلك في كتاب ولا سنة، ولا أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلمًا من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل -عليه السلام-؛ فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١]؛ أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فلا يجوز بعد ذلك أن يؤمر بذبحه وهو صغير. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/ ١٤)، وتراجع المسألة مستوفاة في مفاتيح الغيب (٢٦/ ١٣٣-١٣٥)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ١٩٠)، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣هـ.

فيكون النسخ على وفق رعاية المصالح.

وأما أنه إذا كان على وفق رعاية المصالح يكون جائزًا؛ فلأن رعاية المصالح جائزة على الله تعالى، إذ لا يجب على الله تعالى شيء، وما عُلِّق على جائز فهو جائز، فيكون النسخ جائزًا»[1].

وقد سلك هذا المسلك صاحب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»، وبيَّن أننا نتعامل في أحوالنا بمبدأ رعاية المصالح، فقد نأمر بالأمر في وقت لمصلحة، ثم ننهى عنه في وقت آخر لمصلحة أخرى، وذلك مع جهلنا بالعواقب، فما الذي يحيل ذلك من العالم بعواقب الأمور الذي لا يخفى عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؟ وذلك قوله: «فاعلموا أن السيد قد يأمر عبده في وقت بفعل، وينهاه عنه في وقت آخر، لعلمه بمصلحته في إيقاع الفعل، وتركه في الوقتين جميعًا، وكذلك الوالد قد يأمر ولده في أول نشوئه بتحصيل الفضائل، فإذا بلغ مبلغ الرجال أمره بالكسب، ونهاه عما كان يأمره به أولاً؛ لعلمه بمصلحته في الحالين... فما المانع أن يتعبد الله عباده في وقتٍ ثم يأمرهم في وقت آخر بترك تلك التكاليف، واستعمال غيرها؛ لعلمه بكونها مصلحة لهم في ذلك الوقت، والشرائع مصالح العباد، والله تعالى هو العالم بمصلحة عباده على اختلاف أحوالهم وأوقاتهم»[2]، وابن القيم يحصر الكلام مع اليهود في احتمالين:

فإما أن يقولوا: إن الأحكام مبنية على مراعاة المصالح، وعليه يلزمهم النسخ؛ لأن المصالح تختلف من وقت لآخر، ومن شخص دون غيره، وإما أن لا يعترفوا بذلك، ويلزمهم النسخ بقوله: «فالأمر حينئذٍ أظهر؛ فإنه سبحانه يحلل

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٦١).
(2) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٢، ٥٤٣).

ما يشاء، والتحليل والتحريم يقع لمجرد مشيئته لا يسأل عما يفعل»[(١)].

أدلة وقوع النسخ:

يقيم الإمام القرافي الحجة على اليهود في إنكارهم النسخ بوقوعه في توراتهم، وهذا في الحقيقة من أقوى الأدلة التي لا يستطيع اليهود دفعها، ومن الأدلة التي ذكرها الإمام ما يلي:

١- في التوراة: «أن آدم -عليه السلام- شرع الله له تزويج الأخ من أخته التي ليست توأمته»[(٢)]، مع الاتفاق على تحريم ذلك بعد آدم -عليه السلام-[(٣)]. يقول الإمام القرافي: «وهذا هو حقيقة النسخ، وقد اعترفوا به فلا يكون محالاً على الله تعالى»[(٤)].

يقول الألوسي في هذه الجزئية: «فلو لم يكن هذا النكاح جائزًا في شريعة آدم وإبراهيم -عليهما السلام- يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد زنا، والناكحون

---

(1) يراجع: إغاثة اللهفان (ص٦٤١).
ويراجع: إظهار الحق (١/ ٣٦٦)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٨، ٤٢٠، ٤٣١).

(2) لم أجد في التوراة تصريحًا ما، يدل على أن آدم -عليه السلام- كان يزوج الأخ من أخته التي ليست توأمته، لكن التصريح بزواج الأخ من الأخت وارد في سفر التكوين إذ ورد أن إبراهيم -عليه السلام- قال عن سارة زوجته: «وبالحقيقة أيضًا هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي» الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٢).

(3) ورد تحريم الأخت في سفر اللاويين: «عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجها لا تكشف عورتها» الإصحاح (١٨)، الفقرة (٩)، وأيضًا في سفر اللاويين، الإصحاح العشرين، الفقرة (١٧)، وأيضًا في سفر التثنية، الإصحاح السابع والعشرين، الفقرة (٢٢).
وأما تحريم ذلك في شرعنا فقد جاء في قوله الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ...﴾ [النساء: ٢٣].

(4) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠).

زانين، وواجبي القتل[١] وملعونين[٢]، فكيف يظن هذا في حق الأنبياء؟ فلابد من الاعتراف بأنه كان جائزًا، ثم نسخ[٣].

٢- في التوراة: «أن الله تعالى أبدل ذبح ولد إبراهيم -عليه السلام- بكبش»[٤].

يقول الإمام القرافي: «وذلك أشد أنواع النسخ؛ لأنه نسخ قبل فعل شيء من نوع المأمور به أو أفراده، وإذا شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ، فغيره جائز بطريق الأولى»[٥].

٣- في التوراة: «قال الله لموسى -عليه السلام-: اخرج أنت وشعبك؛ لترثوا الأرض المقدسة التي وعدت بها أباكم إبراهيم أن أورّثها نسله[٦]، فلما صاروا إلى التيه، قال الله تعالى: «لا تدخلوها لأنكم عصيتموني»[٧]، يقول القرافي: وهذا هو عين النسخ[٨].

ويقول أبو البقاء الجعفري في هذه الجزئية: «فلم يدخلوها هم، ولا موسى ولا هارون، ولم يدخلها أحد ممن خرج من مصر سوى رجلين: يوشع بن نون،

---

(1) الأمر بقتل من تزوج أخته وارد في سفر اللاويين، الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٧).
(2) لعن من يتزوج أخته وارد في سفر التثنية، الإصحاح (٢٧)، الفقرة (٢٢).
(3) الجواب الفسيح، (٢/ ٤٢٢، ٤٢٣). تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٥، ٥٤٦).
(4) سفر التكوين، الإصحاح (٢٢)، الفقرتان (١٣- ١٤).
(5) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠)، نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩). تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٦)، إظهار الحق (١/ ٣٦٠)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٨).
(6) سفر الخروج، الإصحاح (٣٣)، الفقرات (١- ٢).
(7) سفر العدد، الإصحاح (١٤)، الفقرة (٢٣).
(8) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠)، نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩).

وكالاب بن يوفينا، وهو نسخ لشرع موسى نفسه»[١].

٤- في التوراة: «لما نظر بنو الله بنات الناس حسانًا، ونكحوا منهم، قال الله تعالى: لا تسكن روحي بعدها في البشر، وإقامتهم مائة وعشرين سنة»[٢].

يقو القرافي: «فأخبرت التوراة أنه لا يعيش أحد أكثر من هذا، ثم أخبرت أن أرفخشد عاش بعدما ولد له شالح أربعمائة وثلاث سنين»[٣]. «وأرغو عاش مائتي سنة وخمسًا وسبعين سنة»[٤].

يقول الإمام القرافي: «وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور لا يسمح كلامهم بعد ذلك في النسخ»[٥].

ويقول أبو البقاء الجعفري معلقًا على هذه النصوص: «وهذا أشد من البداء والندم؛ لأنه كذب في الأخبار، وإذا كان هذا جائزًا عندكم معشر اليهود، فكيف تمنعون النسخ، وتتعللون بأنه بداء على الله تعالى؟»[٦].

٥- يقول القرافي: «الختان كان في شرع إبراهيم -عليه السلام- جائزًا في الكبر[٧]، وقد أوجبه موسى -عليه السلام عندهم يوم ولادة الطفل»[٨].

---

(1) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٧).
(2) سفر التكوين، الإصحاح (٦)، الفقرات (١- ٤).
(3) في سفر التكوين، الإصحاح (١١)، الفقرة (١٣).
(4) في التوراة أنه عاش مائتين وسبعين سنة، تكوين، الإصحاح (١١)، الفقرة (٢١).
(5) الأجوبة الفاخرة (ص٦١)، نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩).
(6) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٩).
(7) اختتن إبراهيم -عليه السلام- كما جاء في التوراة وهو ابن تسع وتسعين سنة. [سفر التكوين، الإصحاح (١٧)، الفقرة (٢٤)، وختن معه جماعة أيضًا كما جاء في نفس الإصحاح.
(8) الذي في التوراة الحالية: أن موسى -عليه السلام- قال له الرب: «... وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته»، لاويين، الإصحاح (١٢)، الفقرة (٣).

٦- يقول الإمام القرافي: «الجمع ببين الأختين كان مباحًا في شريعة يعقوب -عليه السلام-[١]، وحرم ذلك في شريعة من بعده[٢]. ثم يعقب تعقيبًا عامًّا على كل ما سبق فيقول:

«وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور، فلا يسمع كلامهم بعد ذلك في النسخ؛ لأنه إذا كان النسخ واقعًا عندهم انقطع العذر، ولم يبق إلا العناد»[٣].

هذا: وقد رتب اليهود على إنكارهم النسخ إنكار نبوة عيسى -عليه السلام-، وأوردوا على ذلك كلامًا مغلوطًا، فنده الإمام القرافي، وهذا بيانه في المبحث التالي -إن شاء الله تعالى-.

والله أعلم

(1) سفر التكوين، الإصحاح (٢٩)، الفقرات (٢١- ٣١).
(2) سفر التكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرة (١٨).
(3) نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩)، وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٦).
يراجع: في إنكار اليهود للنسخ، بالإضافة إلى ما سبق، بين الإسلام والمسيحية (٣٢٣- ٣٢٦)، ويراجع: في إنكار النصارى النسخ: إظهار الحق (١/ ٣٥٣- ٣٦٧)، الجواب الفسيح (٢/ ٤٢٤- ٤٣١).

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الرابع
إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام
ورد القرافي عليهم

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام

(الأسباب والنتائج).

المسلك الثاني: شبه اليهود، ورد القرافي عليها.

obeikandl.com

obeikandl.com

المسلك الأول
إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام
(الأسباب - النتائج)

١- يعتقد اليهود أنهم شعب مختار، وأن وعدًا كان لهم من الله تعالى باصطفائهم على سائر الناس، وتمسكوا في ذلك بنصوص من توراتهم منها: «أنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمة مقدسة»[١].

ومنها: «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[٢].

ومنها: «مباركا تكون فوق جميع الشعوب»[٣].

وبالغ اليهود فيما يمكن أن يسمى أرستقراطية دينية، حتى إنهم ليعتقدون أن الفرق بين اليهودي وغيره كالفرق بين الإنسان والحيوان.

وكان اليهود ينتظرون مسيحا ملكا فاتحا من نسل داود عليه السلام يعيد مجد إسرائيل[٤] ويجمع شتات اليهود بفلسطين[٥] ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول.

وتهيأ الرأي العام اليهودي لهذا المسيح، وكان توقعه يتحدد كلما نزلت باليهود البلايا والمحن[٦].

---

(1) سفر الخروج، الاصحاح (١٩)، الفقرة (٦).
(2) سفر التثنية، الإصحاح (١٧)، الفقرة (٦).
(3) سفر التثنية، الإصحاح (١٧)، الفقرة (١٤).
(4) ينظر سفر إشعياء، الإصحاح (٩)، الفقرات (٦-٨).
(5) يراجع سفر إشعياء، الإصحاح الحادي عشر.
(6) يراجع محاضرات في النصرانية (ص٢٢)، اليهودية (ص٢١٨) النصرانية والإسلام، للمستشار: عزت الطهطاوي (ص٢٢٦) مطبعة التقدم مصر بدون تاريخ.

فلما جاء عيسى عليه السلام -لم يحفظ لليهود- ما كانوا يعتقدون من ضمانات بل أعلن -كما يقول ويلز- أنه ليس هناك شعب مختار كما زعموا، وأن الله تعالى ليس من المساومين، وأنه لا أحظياء في مملكة السماء، وأنه سبحانه وتعالى، لا يخص جنسًا برعاية، فهو كالشمس ترسل أشعتها للناس سواء بسواء[١] ولم يكتف عيسى عليه السلام بهذا، بل بين لهم مساوءهم، ووصفهم بشر الأوصاف وتوعدهم ومن ذلك قوله لهم: «فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم»[٢] وأيضا يقول لهم «يا أولاد الأفاعي: كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار»[٣] وأيضا «يقول لهم ويل لكم أيها الكتبة[٤] والفرِّيسيون[٥] المراءون. ويل لكم أيها القادة العميان، أيها الجهال العميان، أيها الفرِّيسي الأعمى، أيها الحيات»[٦] ويقول مخاطبًا أورشليم: «يا قاتلة الأنبياء، وراجحة المرسلين إليها»[٧].

---

(1) المسيحية، د/ أحمد شلبي: (ص٤٦-٤٧)، مكتبة النهضة المصرية، ط/ العاشرة، ١٩٩٣م.

(2) متى: الإصحاح: (٥)، الفقرة: (١٢).

(3) متى: الإصحاح: (١١)، الفقرة: (٣٤).

(4) تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود اتخذوا كتابة الشريعة مهنة لهم، ويسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وهؤلاء عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها، فاتخذوا الوعظ وظيفة أخرى لهم بجوار كتابة الشريعة، يراجع: اليهودية (ص٢٣٢)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص٥٦٨)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، بدون تاريخ.

(5) فرقة يهودية يعتقدون أن التوراة خلقت منذ الأزل، ويسمون الأحبار أو الربانيين، لا يتزوجون ولكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يراجع: اليهودية (ص٢٢٧، ٢٢٨)، الموسوعة الميسرة: (ص٥٦٨).

(6) متى، الإصحاح (٢٣)، الفقرات (١٣-٣٦).

(7) متى، الإصحاح (٢٣)، الفقرة (٣٧).

٢- من اليهود من علم الديانة رسومًا، وتقاليد يتجهون إلى الأشكال، والمظاهر منها، دون الاتجاه إلى لبها وغايتها، وحتى لقد كان منهم من حجم عن عمل الخير في يوم السبت زاعمًا أنه داخل في عموم النهي عن العمل فيه، فإذا جاء المسيح داعيًا إلى أن ينظروا إلى إصلاح القلب، بدل الأخذ بالمظاهر، والأشكال، فإنه لاشك يصدم هؤلاء فيما يألفون، وفيما وجدوا عليه سابقيهم[١].

٣- اليهود قوم عكفوا على المادة، واستغرقتهم، واستولت على أهوائهم ومشاعرهم، حتى لقد كانت نساكهم وسدنة الهياكل عندهم، -وقد فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدنيوية يجمعونه- من نذور الهياكل، والقرابين التي يتقرب بها الناس، ويحرصون على ذلك أشد الحرص، وكانوا يأخذون القرابين من أشد الناس حاجة، وأفقرهم، فلما جاء المسيح ندد بذلك[٢].

٤- عدلت شريعة عيسى عليه السلام بعض أحكام التوراة -كما قال تعالى: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠]، وكما قال هو عن نفسه «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل»[٣]- التي يعتقد اليهود كفر من يعملها، كقدسية السبت وتحريم العمل فيه[٤] وكالدعاء على أورشليم بالخراب[٥].

---

(1) محاضرات في النصرانية (ص٢٢) المسيحية (ص٤٦).
(2) محاضرات في النصرانية (ص ٢٣).
(3) متى، الإصحاح (٥)، الفقرات (١٧-١٨).
(4) ينظر: متى، الإصحاح (١٢)، الفقرات (١-٩).
(5) متى، الإصحاح (٢٣)، الفقرة (٣٧) وينظر: تححيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ١٦٣)، هامش (٣).

كل هذه الأسباب أسفرت عن الآتي:

١- لما جاءهم عيسى عليه السلام -بما لا يطلبون وقفوا مجتمعين في وجه دعوته، ولم يؤمن به إلا نفر قليل منهم، وأثاروا الشبه ضد دعوته، فزعموا أنه ما جاء بمعجزات، وأن ما جاء به إنما هو من الشيطان ومنهم من وصفه بالسحر، ومنهم من زعم أن ما جاء به إنما كان بطريق المماثلة والاتفاق مع أتباعه، ومنهم من زعم أن ما جاء به إنما هو لدقة معرفته بالطب، حتى إنه يبرئ الأكمه والأبرص ويقيم الزمني.

ووصفوه أيضا بأنه ابن زنا، حملته أمه سفاحًا، وأنه مجنون مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، وكانت روح الشيطان داخلة فيه، بل هو شيطان في نظر بعضهم(١).

وتوارث اليهود الحقد عليه جيلاً بعد جيل، فكلما انطفأت نار الشبه التي يثيرونها أو كادت، أوقدوا غيرها، وما حدث أيام الإمام القرافي، ما هي إلا نوبة، من نوبات اليهود ضد عيسى عليه السلام ودعوته.

٢- لم يكن رفض اليهود لعيسى لذاته، إنما كان لما جاء به من دعوة، ولذلك تعقبوه في زمنه وتعقبوا أتباعه من بعده.

ففي زمنه أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية، والخلافات المذهبية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوسونها فيما بينهم، واليهود

(1) يراجع: بذل المجهود (ص١٠٨)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٦٣)، إفلاس الكنيسة، د/ نوح الغزالي، (ص٧١، ٧٢)، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ط/ الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

يريدون أن يغروا الرومان بعيسى عليه السلام كيفما كان الثمن، فبثوا حوله العيون يرصدونه ويتسقطون قوله بشأن الحكومة، والحكام، عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها، وينقلونها للحاكم الروماني فلم يجدوا؛ لأن المسيح ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسي والخلقي، ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد.

ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلبًا[1].

ولم ينته كيدهم عند نهاية المسيح، بل تعقبوا كل من قام بدعوته بالقتل، والتشريد، والحبس، والجلد، حتى اضطر اتباع المسيح إلى الدعوة خارج بلاد اليهود، ولكن لم تنفع محاولاتهم، ولم تنقذهم من أذى يهود[2]

وبعد، فما هي الشبه والمحاولات التي قام بها اليهود لتنفيذ مآربهم بشأن إنكار رسالة السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل السلام؟ ذلك ما يعرض له المطلب التالي في الصفحات القادمة...

والله أعلم

(1) محاضرات النصرانية (ص٢٣)، المسيحية (ص٤٧).
(2) يراجع إفلاس الكنيسة (ص٥٦) وما بعدها.

openkanal.com

المسلك الثاني
شبه اليهود ورد القرافي عليها

أولا: شبه اليهود:

الشبهة الأولى: يتخذ اليهود من مسلمات المسلمين سبيلاً للوصول إلى نفي نبوة عيسى عليه السلام فيقولون: أجمع المسلمون -معنا- على صحة شريعة موسى عليه السلام، وأنه الصادق البر وقد قال: (تمسكوا بالسبت ما دامت السماوات والأرض)[1] فلا يكون بعده رسالة أخرى، فتبطل رسالة عيسى عليه السلام[2].

الشبهة الثانية: علم اليهود أن طريق إثبات النبوة، هو الإتيان بالمعجزة، فاستخدموا ما علموا في نفي نبوة عيسى عليه السلام، إذ ذهبوا إلى أنه ما جاء بمعجزة، وإذا لم يأت بمعجزة لم تصح نبوته عليه السلام وذلك قولهم: رسالة عيسى عليه السلام إنما تثبت بالمعجزة، والمعجزة إنما تحصل لمن باشرها، حتى

---

(1) لم أجد هذا النص في التوراة الحالية، ولعله في نسخة اطلع عليها القرافي، وليست موجودة اليوم.

(2) يلاحظ أن الشبهة لها جانبان فجانب يسلم به المسلمون وهو صحة رسالة موسى، وكونه صادقا برا، وجانب ليس موضع تسليم المسلمين، وهو النص المذكور، فالمسلمون تجاهه بين نافٍ ومثبت، ومن يثبته يحمله على غير ظاهره كما سبق في (ص٣٥٧)، ويلاحظ أيضا: ما يترتب على تسليم المسلمين بهذه الشبهة، وما يرمي إليه اليهود من قولهم أجمع المسلمون معنا، فلو سلم المسلمون بذلك لعادت الشبهة على رسالة نبينا محمد ﷺ بالإبطال.

ومما هو جدير بالذكر أن من اليهود من يعترف بنبوة عيسى عليه السلام وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل، وهؤلاء هم العيسوية من اليهود، أتباع أبي عيسى الأصفهاني. يراجع: الفضل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٢٩٩) الملل والنحل (١/ ٢١٥ -٢١٦).

نفرق بينها وبين السحر، والسيمياء[١] والشعبذة[٢] ونحن اليهود باشر أسلافنا أمر عيسى عليه السلام وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، وحققوا أمره فوجدوه يتعاطى نوعًا من السيمياء، فيظن الناس أنه أحيا الموتى، وليس كذلك وكذلك، جميع ما يعتقده المسلمون معجزة دالة على صدقه فينبغي تقليدنا؛ لأنا المباشرون لحقيقة ما جاء به، ونحن يستحيل تواطؤنا على الكذب فيكون خبرنا قاطعًا ضروريًا فمن ادعى خلاف ذلك، فدعواه باطلة بالضرورة[٣].

ثانيا: رد الإمام القرافي على هاتين الشبهتين:

الإمام القرافي في رده هنا، يفند الشبه، ثم يذكر أدلته على إثبات نبوة عيسى عليه السلام.

تفنيد الشبه:

لم يتناول الإمام القرافي الشبهة الأولى: بالرد أو التفنيد اعتمادا منه على أنه قد أبطل ما اعتمدت عليه من قبل[٤] وإذا بطل معتمد الشبهة، فالشبهة تبطل من باب الأولى. ولكنه تناول الشبهة الثانية فرد عليها وفندها، وهو في أثناء رده لاحظ أن الشبهة تعتمد على أصلين:

- دعوى أنه لا يقبل في المعجزة إلا قول من باشرها.

- دعوى اليهود نقلهم لما جاء به عيسى -من شعبذة في زعمهم- وهم عدد

(1) سبق التعريف بها (ص١٨١).

(2) الشعبذة: هو الشعوذة والشعوذة: السرعة والخفة من كل أمر، والمقصود بها هنا خفة في اليد، وأخذٌ كالسحر يُرِى الشيءَ بغير ما عليه أصله في رأي العين. يراجع: لسان العرب: (٣/ ٤٩٥)، القاموس المحيط: (٤٢٧)، مادة (شعذ).

(3) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٠)

(4) ينظر: (ص٣٥٧).

obeikandl.com

يستحيل تواطؤهم على الكذب ولذلك قصد إلى إبطال هذين الأصلين، وذلك قوله: أما قولهم: «لا يعلم المعجزة إلا من باشرها» فممنوع، ثم يبين سبب المنع، وهو أنه لا تشترط المباشرة طريقًا للإقرار بالمعجزة دائمًا، وإلا لبقيت معجزة كل نبي قائمة حتى يراها الناس جيلا بعد جيل، بل يكفي للإيمان بها -بعد عصر النبوة- النقل الصحيح المتواتر، وذلك قوله: «بل إذا نقلت أحوال الشخص مع ما ظهر على يديه جزم العقل بنبوته»[(١)].

ثم يرد على الأمر الثاني مبينًا غلطهم في فهم التواتر، وأن ادعاء التواتر لا بد أن يكون في أمر محسوس، والنبوة والرسالة ليستا من الأمور المحسوسة حتى يدعي اليهود أنهم جيلاً بعد جيل عرفوا أمر عيسى عليه السلام، فينبغي تقليدهم فيما عرفوا فيقول: «وأما قولهم: إنهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب فيكون مخالفهم مخالفًا للضرورة، فليس بصحيح، بل هو غلط محض، وجهل صرف، فإن هذه المقدمة إنما تفيد في التواتر والتواتر إنما يفيد في الأمور الحسيات[(٢)] والرسالة والنبوة ليستا من الأمور الحسية، فلا عبرة بكثرة الناقلين فيها، كما لو أخبروا عن قدم العالم، فلا يفيد خبرهم علما»[(٣)].

وإذا اتجهنا نحو السابقين للإمام القرافي نجد السموأل ينفي اعتبار المشاهدة دليلا إلى تصديق النبوات، مقررًا أن المعتبر في ذلك هو التواتر، وأن التواتر بنبوة عيسى أقوى من التواتر بنبوة موسى عليه السلام فيقول: «هذا -مشاهدة

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

(2) للتواتر شروط ثلاثة: أن يبلغ رواته عددًا يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، وأن يروا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء، وأن يكون مستندهم الحس من سماع أو مشاهدة. يراجع: المنهل الروي، لابن جماعة (ص٣١) ت د. محي الدين عبد الرحمن - دار الفكر دمشق ط/ ١٤٠٦هـ.

(3) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

المعجزات – لعمري ليس طريقًا إلى تصديق النبوات؛ لأن هذا يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام باقية من بعدهم؛ ليراها كل جيل فيؤمنوا بها، وليس ذلك بواجب، لأنه إذا اشتهر النبي في عصر وصحت نبوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل عصره، ووصل خبره إلى أهل عصر، آخر، وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبولها في العقل وموسى وعيسى صلوات الله عليهما في هذه الأمر متساويان، ولعل تواتر الشهادة بنبوة موسى أضعف من تواتر الشهادة بنبوة عيسى، لأن شهادة النصارى بنبوة موسى عليه السلام، ليست إلا بسبب أن كتابهم شهد له بذلك، فتصديقهم بنبوة موسى فرع عن تصديقهم بكتابهم»[(١)].

ويضيف ابن القيم سببًا آخر يعلل به كون تواتر الشهادات بنبوة عيسى أقوى من تواترها بنبوة موسى عليه السلام، وهو أن هذه الأمة -اليهود- قد مزقها الله تعالى كل مزق، وقطعها في الأرض، وسلبها ملكها وعزها، فلا عيش لهم إلا تحت قهر من سواهم من الأمم، بخلاف أمة عيسى عليه السلام، فإنها قد انتشرت في الأرض، وفيهم الملوك والممالك[(٢)].

من خلال ما سبق يتضح:

أن اليهود اعتمدوا في شبهتهم على أصلين «المباشرة، ادعاء التواتر» والإمام القرافي في رده لم يحم حول الشبهة كثيرًا، بل أبطل الأصلين، وإذا أبطل ما اعتمدت عليه الشبهة بطلت الشبهة.

وأما السموأل، وتبعه ابن القيم فلم يجيبا إلا على أصل واحد مما اعتمدت

(1) ينظر: بذل المجهود: (ص١٠٥-١٠٦).
(2) ينظر: إغاثة اللهفان: (ص٦٦٠).

عليه الشبهة، مما يجعلنا نقرر: أن رد الإمام القرافي كان أكمل وأوجه، وإن كان في رد السموأل وابن القيم -على الجزء الأول من الشبهة- وضوح، وبيان أكثر مما عند القرافي.

وبعد أن فند الإمام القرافي شبهة اليهود، ذكر الأدلة على نبوة عيسى عليه السلام وهي:

١- **الدليل الأول**: إذا كان اليهود اعتمدوا في نفي نبوة عيسى عليه السلام على مسلمات المسلمين، فإن الإمام القرافي عاملهم بمثل فعلهم، فاعتمد في إثبات نبوة عيسى عليه السلام على ما يعتقده اليهود من أن المعجزة طريق لإثبات النبوة فاتخذ من إتيانه -عليه السلام- بأمور خارقة للعادة، دليلاً على نبوته عليه السلام ويسوق ذلك في صورة قياس حملي فيقول: «النبي من جاء بالمعجزة، وهو عليه السلام جاء بالمعجزة فيكون نبيًّا، أما النبي من هو كذلك فبالاتفاق؛ ولأنّا لا نعني بكونه نبيا غير هذا، وأما أنه عليه السلام جاء بالمعجزة فلأن إحياء الموتى من أعظم المعجزات»[(١)].

وابن حزم يتخذ من إتيان عيسى بالمعجزة دليلا على نبوته ويؤكد أنه إذا صدق موسى؛ لأنه جاء بالمعجزة، فليصدق عيسى؛ لأنه جاء بالمعجزة أيضا لئلا يلزم التفريق بين المتماثلين فيقول: بأي شيء علمتهم نبوة موسى عليه السلام ووجوب طاعته؟ فلا سبيل إلا أن يأتوا بشيء غير أعلامه وبراهينه الظاهرة فيقال لهم إذا وجب تصديق موسى واتباع أمره؛ لما ظهر من إحالة الطبائع، فلا فرق بينه، وبين من أتى بمعجزات غيرها، وبإحالة لطبائع أخر.

فبضرورة العقل يعلم كل ذي حس أن ما وجب لنوع فإنه واجب لإجزائه

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

كلها، فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى عليه السلام وعيسى واجب وجوبًا مستويًا ولا فرق بين شيء منه بالضرورة»[١].

ونفس الطريق ولجه السموأل فيقول مخاطبًا اليهود: «ما تقولون في نبوة عيسى ابن مريم؟ فيقولون: ولد يوسف النجار سفاحًا كان قد عرف اسم الله الأعظم يسخر به الأشياء، فنقول لهم: أليس عندكم في أصح نقلكم أن موسى عليه السلام قد أطلعه على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفا وبه شق البحر، وعمل المعجزات؟[٢] فلا يقدرون على إنكار ذلك، فإذا كان موسى عليه السلام، قد عمل المعجزات بأسماء الله، فلم صدقتم بنبوته وكذبتم بنبوة عيسى فيقولون: لأن الله تعالى علَّم موسى الأسماء، وعيسى لم يتعلمها من الوحي، ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس، فنقول لهم: فإذا كان الأمر الذي يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختصه الله به ولا يريد تعليمه إياه فبأي شيء جاز تصديق موسى؟»[٣]

وما أجمله السموأل هنا في سؤاله الأخير، فصله ابن القيم بقوله: «هذا يسد عليهم باب العلم بنبوة موسى عليه السلام؛ لأن كلا الرسولين اشتركا في المعجزات، والآيات الظاهرة، التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها فإذا كان أحدهما قد تعلمها بحيلة أو بعلم، فالآخر يمكن ذلك في حقه.... فتكذيب أحدهما،

---

(1) بنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠٢).

(2) معجزة شق البحر وردت في سفر الخروج: الإصحاح: (١٤) الفقرات (٢١-٢٨) وعمل المعجزات، جاء في سفر الخروج: الإصحاح (٤)، الفقرة: (٣٠)، وأما اطلاع موسى عليه السلام على الاسم المركب فلم أجده في التوراة الحالية.

(3) بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٠٣- ١٠٤).

وتصديق الآخر، تفريق بين المتماثلين وأيضا: فإنه لا دليل لهم على أن موسى تلقى تلك المعجزات عن الله تعالى إلا وهو يدل على أن عيسى تلقاها أيضا عن الله تعالى، فإن أمكن القدح في معجزات عيسى، أمكن القدح في معجزات موسى عليه السلام وإن كان ذلك باطلاً، فهذا أيضا باطل»[(١)].

ونخلص مما سبق:

أن ما ذكره الإمام القرافي من دليل على إثبات نبوة عيسى عليه السلام إنما هو دليل لإثبات النبوة عمومًا، وهو كاف وقوي في بابه، ولذلك استغنى الإمام القرافي عن إجراء الدليل على نبوة سيدنا محمد ﷺ بخلاف ما ذهب إليه ابن حزم، والسموأل، وابن القيم فإن ثلاثتهم حصروا الاستدلال بالمعجزة في دليلهم على عيسى وموسى عليهما السلام، ثم عقبوا بإجراء الدليل على نبوة محمد ﷺ و هذا يبين لنا أن الإمام القرافي أصاب الهدف من أخصر طريق.

الدليل الثاني:

يستدل الإمام القرافي -أيضا- على نبوة عيسى عليه السلام بأحواله وذلك قوله: «وأحوال المسيح في زهده، وصدقه، وإيثاره لآخرته وإعراضه عن الدنيا أمر معلوم من التواريخ القديمة، والرسائل المنزلة التي قامت المعجزة على تصديق رسلها[(٢)]، فيحصل القطع بنبوته عليه السلام وهو المطلوب»[(١)]

---

(1) إغاثة اللهفان (ص ٦٥٨).

(2) يشير القرافي إلى إخبار النبي ﷺ عن زهد عيسى ابن مريم، فقد روى ابن سعد في طبقاته عن مالك بن دينار أن النبي ﷺ قال: «**من سره أن ينظر إلى زهد عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر**»، الطبقات الكبرى، لابن سعد: (٤/ ٢٢٨)، ت/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٦٨م، وقد جاء في زهده ما أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن العلاء بن المسيب قال: «قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام: ما تأكل؟ قال: =

وهذه الدليل لم يذكره أحد غير القرافي من السابقين، أو اللاحقين فيما قرأت من كتب في هذا الفصل والله أعلم.

الدليل الثالث:

يلزم الإمام القرافي اليهود بنبوة عيسى عليه السلام بما يمكن أن نسميه عود الشبهة عليهم فما قالوه في نفي نبوة عيسى، يلزمهم في نبوة موسى عليه السلام وجميع رسلهم. فيقول: «وافقت اليهود على ظهور الخوارق على يده، وإنما قالوا هي من قبيل السيمياء وتارة يقولون: هو من قبيل الشياطين، وعلى كل تقدير جميع ما يقولون يلزمهم في قلب العصا ثعبانًا، واليد بيضاء، وفلق البحر، ونتق الجبل، وسائر معجزات رسلهم، ثم يقول: فما هو جوابهم عن معجزات رسلهم عليهم السلام هو جوابنا عن عيسى عليه السلام حرفا بحرف»[٢].

وقد سبق الإمام القرافي إلى هذا الدليل أبو البقاء الجعفري، فذكر وقعة أحيا عيسى فيها ابنة رجل ثم قال: فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره، انعكس عليهم في نبوة أنبيائهم، وإن زعموا أنه فعل ذلك تخييلاً قيل لهم: ولعل قلب العصا حيوانًا يسعى، كان أيضا تخييلاً وشعبذة[٣].

=

خبز الشعير، قالوا: وما تلبس؟ قال: الصوف، قالوا: وما تفترش؟ قال: الأرض» المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، ك: الفضائل، باب: ما ذكر فيما فضل به عيسى عليه السلام، حديث رقم (٣١٨٨١)، (١/ ٣٤٠)، ت/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٠٩هـ.

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧٠-٧١).

(2) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

(3) تخحيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٧٨).

وفي نظري:

أن هذه الدليل الذي ذكره القرافي وأبو البقاء الهاشمي يعتبر من أقوى الأدلة في إثبات نبوة عيسى عليه السلام؛ لأنه يقوم على عود الشبهة عليهم، وإذا عادت الشبهة على الخصم دل ذلك على أن سؤاله لا يصح أصلاً.

الدليل الرابع:

يستدل الإمام القرافي بدليل من التوراة على نبوة عيسى عليه السلام فيقول: «نص التوراة يقتضي نبوته صلوات الله عليه؛ لأن فيها لا يزال الملك في آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح[1] ثم يقول: وكذلك كان، ما زالت لهم ملوك ودول إلى زمن عيسى عليه السلام فصاروا ذمية محقورة، ورعية مأسورة، وهذا شيء لا ينكرونه وهو دليل قاطع على نبوته عليه السلام.

ثم بيَّن مكابرة اليهود بزعمهم أن مسيحهم لم يأت بعد، وهو آت في آخر الزمان. فقال: «وفي هذا المقام كابرت اليهود، واشتد عنادها، وقالت هو المسيح الدجال الذي يأتي في آخر الزمان، ويزعمون أنه ينصر دين موسى عليه السلام ويظهر الحق على يده، ثم يبين ما في ذلك من المكابرة فيقول: مع أن ملكهم قد ذهب من نحو ألف سنة إلى اليوم -على زمن القرافي- مع أن نص التوراة أنه يستمر حتى يأتي المسيح عليه السلام، وهو مكابرة ظاهرة»[2].

والله أعلم

---

(1) لم أجد هذا النص في التوراة البابلية، ولا السامرية، ورجعت إلى قاموس الكتاب المقدس فلم أجده.

(2) الأجوبة الفاخرة (ص٧١/ ٧٢)، وينظر: بذل المجهود (ص١٠٢) وما بعدها، الإعلام (ص١٨٠)، إغاثة اللهفان (ص٦٥٨) هداية الحيارى: (ص١٤٣) وما بعدها.

المطلب الخامس
النعيم الأخروي عند اليهود
وموقف القرافي منه

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: اليوم الآخر عند اليهود.

المسلك الثاني: إنكار اليهود النعيم الجسماني في الجنة ورد القرافي عليهم.

obeikandl.com

obeikandl.com

المسلك الأول
اليوم الآخر عند اليهود

ليس لليوم الآخر وجود في توراة موسى -الأسفار الخمسة- فلم تشر التوراة إلى شيء يتصل بحياة بعد الموت، بل كل ما فيها من ثواب على الطاعة، وعقاب على المعصية، إنما هو عقوبة، أو ثواب دنيوي معجل، من نصرة على الأعداء وتكثير في الأولاد. وكثرة في نتاج الأرض، وغير ذلك، هذا في جانب الطاعة.

وفي جانب المعصية يكون الجزاء كثرة في الأمراض، وقلة في الأرزاق، وتسليط الأعداء عليهم، ونحو ذلك، أما أن تجد عقابًا أو ثوابًا أخرويًا، أو شيئًا يتصل بها بعد الموت فهذا غير موجود.

وقد لاحظ ذلك علماء المسلمين وغيرهم من علماء أهل الكتاب.

يقول ابن حزم: «ليس في توراتهم ذكر لمعاد أصلاً، ولا لجزاء بعد الموت»[(١)].

ويقول أبو عبيدة الخزرجي مخاطبًا النصارى: «أما التوراة التي بأيديكم، وأيدي اليهود إلى اليوم، فلا ذكر فيها للآخرة، ولا لبعث ولا لحشر الأجساد، ولا لشيء من أحوال القيامة»[(٢)].

ويقول ابن كمونة اليهودي: «إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحًا بالثواب والعقاب الأخرويين»[(٣)].

ويقول سبنيوزا -وهو يهودي-: «إن الشريعة لم تعد العبرانيين بشيء مقابل

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٢٠٧).
(2) بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤٠).
(3) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (ص٤٠).

طاعتهم إلا باستمرار دولتهم، الذي يسعدون به، وبنعم الدنيا، وفي مقابل ذلك فإنها أنذرتهم بسقوط الدولة وبأفدح المصائب لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه»[١].

ويقول ول ديورانت: «على أن اليهود قلما يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا»[٢].

وقد لاحظ ذلك من اليهود المحدثين الدكتور شمعون مويال، فقال: «إن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلمود، فترى الثواب والعقاب ماديين، فهي تقول مثلاً: أكرم أباك وأمك، لأجل أن تطول أيامك على الأرض، وتقول بعد الأمر بالصيام في يوم الغفران: إن كل نفس لا تصوم في ذلك اليوم تقطع من وسط الشعب، أي أن الذي لا يصوم سيكون قصير العمر»[٣].

ونظرة في التوراة تؤكد لنا ما قاله هؤلاء: «فآدم وحواء يؤمران بعدم الأكل من الشجرة، وإلا يموتان موتًا[٤]، وقابيل قاتل أخيه لا تعود الأرض تعطيه قوتها عقابًا على جرمه[٥]، والله عز وجل يبارك نوحًا -عليه السلام- بعد الطوفان، ويعده بالإكثار والإثمار، وملء الأرض بالذرية[٦].

---

(1) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص١١٧).

(2) قصة الحضارة: (٢/ ٣٤٥).

(3) تاريخ الملل والنحل (ص١١٤)، نقلاً عن كتاب التلمود للدكتور/ شمعون، الذي كتبه بالعبرية، وترجمه إلى العربية.

(4) تكوين، الإصحاح (٣)، الفقرة (٣).

(5) تكوين، الإصحاح (٤)، الفقرتان (١١ - ١٢).

(6) تكوين، الإصحاح (٩)، الفقرات (١ - ٤).

وجزاء إبراهيم -عليه السلام- على طاعته لله تعالى بذبح ولده: أن يباركه الله تعالى وأن يكثر نسله كالنجوم، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، و أن يرث نسله باب أعدائه[١].

وهكذا الحال كل نبي يعد قومه وعدًا دنيويًّا على الطاعة والامتثال، ووعيدًا معجلاً على العصيان وعدم الاستجابة، فإذا جاء موسى -عليه السلام كما في التوراة- قرر هذا المبدأ، أن الجزاء عقاب، وصورته: قحط، وهلاك، وذلة، وعار، واستعباد.

وأن الثواب: زيادة في غلة الأرض، وثمارها، ووفرة في نتاج البهائم، وزيادة في النسل، ونصرة على الأعداء[٢].

وهنا يدور في الذهن سؤالان: لم خَلَت التوراة -أسفار موسى الخمسة- من ذكر شيء يتصل باليوم الآخر؟ ولم كان الجزاء فيها ماديًّا دنيويًّا معجلاً؟

وللإجابة عن السؤال الأول تعددت التعليلات والمحاولات، نذكرها كالآتي:

١- يذهب بعض اليهود إلى أن خلو التوراة من هذا إنما هو أمر تعبدي لا يسأل عنه، بعد تقرير أن موسى ذاع عنه ذلك واشتهر، وذلك قول ابن كمونة: «وخلو التوراة من التصريح بذلك لا يضر، إذا كان قد أنزل على موسى -عليه السلام- وخاطب به بني إسرائيل واستفاض منهم، فإن قيل: فلم لم يكتبه في

(1) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرتان (١٦- ١٧).

(2) يراجع: سفر الخروج، الإصحاح (٢٣)، الفقرات (٢٥- ٣٠)، سفر اللاويين، الإصحاح (٣٦)، الفقرات (٣- ١٨)، سفر التثنية، الإصحاح (٧)، الفقرات (١٣- ١٦)، والإصحاح (١١)، الفقرات (٨- ١٨)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص١٣٢)، هامش (٢).

التوراة؟ قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها، ولا السؤال عنها، بل ربما كان ذلك لحكمة لا نعلمها»[(١)].

لكن كلام ابن كمونة هذا لا يسلم له؛ لأن معرفة الحكمة وعدمها إنما هو في التكاليف، لا في العقائد، ففي الأمور التكليفية يصح أن يقال: إن الله أمر بكذا، لحكمة لا نعلمها، وأمر بكذا لحكمة، وهي كذا، وكذلك في النواهي، أما في العقائد فلا يصح ذلك فيها؛ لأن الناس تحركهم عقائدهم، فينبغي أن تكون واضحة صافية في الذهن والقلب، معلوم حكمها، فلا ينبغي لعاقل أن يقول مثلاً: كان الله واحدًا، سميعًا، بصيرًا؛ لحكمة لا نعلمها، ولا يصح أن يقال: أرسل الله الرسل لحكمة لا نعلمها، وكذا لا يصح القول: إنه لم يرد في كتاب سماوي عقيدة كذا لحكمة لا نعلمها، إنما ذلك في التكليفات، لا في العقائد. يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام: المشروعات ضربان: أحدهما: ما ظهر لنا أنه جالب لمصلحة، أو دارئ لمفسدة... ويعبر عنه بأنه معقول المعنى.

والضرب الثاني: ما لم يظهر لنا جلبه لمصلحة، أو درؤه لمفسدة، ويعبر عنه بالتعبد[(٢)]، فظهر أن ذلك لا يكون في العقائد.

٢- ويذهب بعض النصارى في تعليل ذلك إلى: أن موسى -عليه السلام- لم يخبر بذلك مخافة أن يكذبه بنو إسرائيل جملة واحدة فيرجموه؛ لأنهم كانوا يسيئون القول بكل ما يأتيهم به؛ عتوًّا منهم على الله تعالى[(٣)].

وهذا تعليل غير مقبول؛ لأن فيه أن موسى -عليه السلام- كتم وحي الله

(1) ينظر: تنقيح الأبحاث (ص٤٠).
(2) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام (١/ ص٢٢)، ت/ طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط/ ١٣٨٨هـ.
(3) ينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤١).

تعالى خوفًا من بني إسرائيل، وهذا ينافي ما هو واجب للأنبياء -عليهم السلام- من صفة التبليغ، وكيف يخاف موسى -عليه السلام- وقد وعده الله تعالى بالأمن فقال: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، هذا فضلاً على أن القرآن الكريم أخبرنا أن موسى -عليه السلام- أعلمهم أن هناك يومًا آخر، قال تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ الآية. [الأعراف: ١٥٦].

ناهيك عن أن كلام ابن كمونة السابق يكذب هذا التعليل؛ إذ فيه أن موسى -عليه السلام- بلغ ذلك، واشتهر عنه، وابن كمونة يهودي، فكلامه مقدم على كلام غيره في هذا الأمر.

٣- ويذهب د/ محمد توفيق صدقي إلى: أن السبب في ذلك، وجود العبرانيين بين المصريين فترة طويلة، واقتباسهم منهم هذه العقيدة التي كانت عالقة بأذهان المصريين كثيرًا... فانتقلت منهم إلى بني إسرائيل، وأصبحت عندهم من الأمور التي لا يترددون في قبولها، ولذا لم يحتاجوا إلى التذكير بها، ويؤكد ذلك بقوله: ولا تنسَ أن بني إسرائيل كانوا من أشد الأمم ميلاً للتقليد، وخصوصًا للأمم الغالبة لهم»[(١)].

وهذا التعليل غير مقبول أيضًا؛ إذ يقوم على أن زيادة معرفة هذه العقيدة سبب عدم ذكرها، ولعل هذا مقتضٍ أكثر مما هو مانع، ولا سيما إذا لوحظ ما للعالم الأخروي والحياة فيه من رهبة قلبية في النفس يحتاج إليها من يروض ذوي الرقاب الصلبة أمثال هؤلاء، ومعرفتها الكثيرة، لا تقتضي عدم ذكرها؛ لأنهم

(1) ينظر: تاريخ الملل والنحل (ص١١٥)، نقلاً عن كتاب: نظرة في كتب العهد القديم وعقائد النصرانية، للدكتور/ محمد توفيق.

سيتساءلون حتمًا عن رأي دينهم الجديد، وبخاصة حين يرونه يقصر الجزاء على الدنيوي القريب المادي، وها هي ذي إلفتهم للوثنية المصرية قد سببت اتخاذهم العجل الذي حمل عليه موسى -عليه السلام- حملته، فكيف تسبب زيادة معرفتهم للبعث إهمال ذكره، وإغفاله التام؟[١].

٤- ويذكر د/ محمد توفيق تعليلاً آخر فيقول: أو كان السبب في قلة ذكر كتبهم لها: أن الناس كانوا في تلك الأزمنة قصيري الإدراك، بلداء الشعور، وخصوصًا اليهود ذوي الرقاب الصلبة[٢]، فلهذا ما كانوا يتأثرون ولا تنفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة، انفعالها بالمواعيد العاجلة التي أكثرت كتبهم من ذكرها لغلظ قلوبهم وقساوتها.

وإذا علم ما لهذه العقيدة من أثر قوي على ذوي الرقاب الصلبة؛ إذ بها يُخَوَّفون وتحرك نفوسهم، ظهر ضعف هذا التعليل؛ إذ البلادة تحوج إلى ذكرها كثيرًا، لا إلى إهمالها تمامًا[٣].

٥- ويذكر الشيخ أمين الخولي تعليلاً آخر فيقول: ولعل الأقرب أن يقال: إن التوراة التي بين أيدينا قد أهملت الثواب الأخروي، والبعث إهمالاً واضحًا؛ لاحتمال أن يكون قد سقط منها شيء كان فيه ذكر ذلك.

ثم يرفض هذا بقوله: وهذا مع جوازه فيه شيء من البعد؛ لأن الحديث عن العالم الثاني الذي اختصت الأديان بالتحدث عنه، مما يكثر دورانه في ثنايا

---

(1) تاريخ الملل والنحل (ص١١٦).

(2) في سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرة (٩): «وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة».

(3) يراجع: تاريخ الملل والنحل (ص١١٦، ١١٧).

النصوص الدينية فلا ترد فيه عبارة واحدة، أو عبارات قليلة تسقط كلها[١].

٦- وما ترتضيه النفس ويطمئن إليه القلب: أن خلو التوراة من ذلك إنما سببه أن هذه التوراة ليست توراة موسى -عليه السلام- التي جاء بها، بل هي توراة عزرا، كتبها بعد أمد طويل من مجيء موسى -عليه السلام- في عصر كان اليهود فيه أذلاء، مستعبدين، يتوقون إلى الحرية، ويحلمون بالثروة، فعبر الكاتب عن آمالهم وآلامهم، وخلطها بالأفكار، والقصص التي كانت تتناقلها الأفواه آنذاك، فجاءت على هذه الحال خالية من الإشارة إلى الدار الآخرة؛ لأن ظروفهم الاجتماعية والسياسية كانت قاسية عليهم، فلم يكونوا يفكرون إلا في الخلاص من المآسي المحدقة بهم[٢].

وفي التعليل الأخير إجابة عن السؤال الثاني: لم كان الجزاء ماديًّا دنيويًّا؟

هذا: ولم تبق كتب اليهود خالية من ذكر لعالم الغيب بعد موسى -عليه السلام-، بل نجد إشارات عن الجزاء عقابًا، وثوابًا، وعن الجنة والنار في الأسفار التي بعد موسى -عليه السلام-[٣]، ولعل أوضحها ما جاء في سفر دانيال: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»[٤].

والسبب في ذكر ذلك: أنهم أخذوا ذلك عن الفرس بعد فترة السبي البابلي، يقول د/ أحمد شلبي: ومر الزمن واحتل الفرس بلاد بابل ودولتي اليهود، ووقع

(1) ينظر: المرجع السابق (ص١١٧، ١١٨).
(2) يراجع: بين الإسلام والمسيحية، كلام المحقق (ص١٣٣، ١٣٤)، تاريخ الملل والنحل (ص١١٨).
(3) ينظر: إشعياء، الإصحاح (٦٦)، الفقرة (١٦).
(4) الإصحاح (١٢)، الفقرة (٢).

الأسر البابلي، ثم سمح ملك الفرس قورش[١] لليهود بالعودة إلى فلسطين، وإعادة بناء معبدهم، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس واليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية -ديانة الفرس-، ومن تعاليم هذه الديانة، اقتبس اليهود الاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أن هناك جنة ونارًا، فنقلوا ذلك الاعتقاد في دينهم[٢].

ويقول د/ محمد شامة: «فإذا تصفحنا الأسفار التي عاش مؤلفوها بعد فترة الأسر، حيث اتصل اليهود بالإيرانيين اتباع زرادشت، نجد فيها إشارات إلى الحياة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب[٣].

وقريب من هذا ما ذكره ابن كمونة اليهودي من أن هذا إنما هو من وضع علمائهم، وذلك قوله بعد أن ذكر الثواب والعذاب الأخرويين: «ولم يبين شيء من ذلك في التوراة، ولكن أحبار الأمة وعلماءها ونقلة شرعهم نقلوه، وذكروا صفة الجنة وجهنم، ووصفوا النعيم والعذاب بأشد استقصاءٍ»[٤].

هذا: ويعقد الإمام القرافي مقارنة بين شرعنا في كثرة ذكره أحوال الآخرة، وبين شريعة بني إسرائيل في قلة ذكر أحوال الآخرة[٥].

---

(١) مؤسس الإمبراطورية الفارسية، ملك فارس من سنة ٥٥٠ ق.م، إلى عام وفاته سنة ٥٢٩ ق.م، ينظر: موسوعة المورد لمنير البعلبكي (ص٢٢)، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الثالثة عشرة، ١٩٧٩م.

(2) ينظر: اليهودية (ص٢٠٦).

(3) بين الإسلام والمسيحية (ص١٣٤).

(4) تنقيح الأبحاث (ص٢٦).

(5) لا يقصد الإمام القرافي بشريعة بني إسرائيل التوراة؛ لأنه ليس في التوراة ذكر شيء عن أحوال اليوم الآخر، بل يقصد سائر أسفار العهد القديم، والعهد الجديد، كما هو مفهوم من كلامه في المقارنة.

فيقول: كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن أكثر من ذكر البعث، وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧]، وخرَّج البهيقي مجلدًا كبيرًا فيما قال -عليه السلام- في أحوال البعث[(١)]، وسبب الإكثار عندنا من وجوه:

أحدها: أن بني إسرائيل كثيفو الطباع، والتخويف بالمؤلمات المستقبلات، والترغيب بالمثوبات المستقبلات، إنما يؤثر في وافر العقل كثير الحزم، متوفر اليقظة، وأما الكثيف الطبع فكالبهائم لا يؤثر في زجرها إلا المنخاس المباشر لجلدها، وأما ما يأتي في غد فلا يؤثر في استصلاحها.

ولما جعل الله تعالى هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وافرة الحلوم، كثيرة العلوم، كثيرة الخشية، مراعية للعاقبة، خصها الله تعالى بذكر الأهم من أمر المعاد، ليتوفر عملها لمعادها، ويكثر للقاء الله استعدادها، واقتصر في حق بني إسرائيل بوعدها بعمارة بلادها، وصلاح أجسادها، وتنمية أولادها.

وثانيها: أنهم كانوا عاتين متمردين، والمتمرد إنما يتحدث معه بالزواجر الحاضرة، والمؤلمات العاجلة، وهذه الأمة أشرق إيمانها في صدورها إشراق الشموس، وأتت داعي ربها حين ناداها لهداها ماشية على الرءوس، وقالوا له: اقترح ما شئت فإنا له باذلون، ولسنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون[(٢)]، فعوملت بالتصريح عن المعنى الصحيح، واطلعت على أسرار

---

(1) هذا المجلد بعنوان: البعث والنشور للبيهقي صاحب السنن، (ت ٤٥٨هـ).

(2) يشير إلى ما كان من المقداد بن الأسود في غزوة بدر، عندما استشار النبي ﷺ الصحابة في قتال المشركين، وخص الأنصار بقوله: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**»، فقال المقداد بن الأسود: كأنك تعنينا يا رسول الله نحن الأنصار؟ والله لا نقول لك كما قالت بنو =

الغيب؛ لأنها لا يعتريها الريب، ولله در الشاعر حيث يقول:

والخـــل كالمـــاء يبـــدي لي سرائـــره مـــع الـــصفاء ويخفيهـــا مـــع الكـــدر[١]

وثالثها: أن زمانهم كان أبعد عن القيامة من زماننا، ولم يكونوا يرد عليهم شيء من أشراط الساعة، ونحن قرب زماننا منها، ووردت آياتها علينا، وهو -عليه السلام- أول علامات الساعة[٢]، ثم وردت السنة بعلاماتها، ووقع كثير منها، ونحن نباشره كما قال -عليه السلام- «**تلد الأمة ربتها، وتعالى رعاء الشاء في البنيان**»[٣]، وتبييض القبور، وتشييد القصور، ولا يوقر الصغير[٤] الكبير، إلى

=

إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون... إلخ. يراجع: صحيح البخاري، ك: المغازي، باب: قول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]، حديث رقم (٣٩٥٢) (٤/ ١٤٥٦) عن ابن مسعود ﷺ.

(1) البيت لأبي العلاء المعري، وليس في ديوانه، ولا في رسالة الغفران. ينظر: خزانة الأدب، لأبي بكر علي بن عبد الله الحموي (١/ ٤٥٩)، ت/ عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/ أولى، ١٩٨٧م.

(2) أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» يشير بأصبعيه فيمدهما، ك: الرقائق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» حديث رقم: (٦١٣٨)، صحيح البخاري: (٥/ ٣٣٨٥)، وأخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، حديث رقم (٢٩٥٠)، صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٦٨) عن سليمان بن سعد الساعدي، واللفظ للبخاري.

(3) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ، حديث رقم (٥٠)، بلفظ: «**أن تلد الأمة ربها... رعاة الإبل**» [صحيح البخاري (١/ ٢٧)]، وأخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب، ك: الإيمان، باب: الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (١)، باللفظ المذكور، صحيح مسلم (١/ ١٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(4) أخرج الحاكم في المستدرك عن المنتصر بن عمارة بن أبي ذر الغفاري عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة... ولا يوقر كبير، ولا =

obeikandl.com

غير ذلك مما وردت السنة به، فكنا بالحديث في أمر الساعة، والإكثار منه أولى منهم.

ورابعها: أنه سبق في علم الله تعالى بعث محمد ﷺ، وأن يجعله أفضل الرسل وآخرهم، فأخر الله سبحانه وتعالى بسط ذلك ليخصه به، فيكون -عليه السلام- أكثر علمًا وإعلامًا وهداية وإفهامًا، فتكون أمته أكثر فضلاً على الأمم بالعلوم والمناقب، كما فضل مذهبها في شرعها على سائر المذاهب.

وخامسها: أن هذا النبي الكريم أوفر نصيبًا من نعيم الآخرة من سائر الأنبياء -عليه السلام-، وكذلك أمته أكثر اتساعًا في الآخرة في النعيم الجسماني والنفساني من سائر الأمم، وهم أكثر أهل النعيم عددًا كما قال -عليه السلام-: «**إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة**»(١)، فزادوا على سائر الأمم نعيمًا وعددًا، فكان تخصيصهم ببسط أمر المعاد أنسب من غيرهم، فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان، وأحوال الجنان والنيران، وما يتفق

=

يرحم صغير...»، قال الذهبي: فيه سيف بن مسكين وهو واهٍ، ك: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: محنة أبي ذر رضي الله عنه، حديث رقم (٥٤٦٥)، (٣/ ٣٨٦).

(1) أخرجه الحميدي في مسنده من طريق سفيان بن عيينة عن عمران بن الحصين، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا**»، قال سفيان: انتهى حفظي إلى النصف، ولا أعلم إلا أنه قال: «**إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة**». مسند الحميدي (٢/ ٣٦٧)، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، دار/ الكتب العلمية، بيروت.

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق موسى الجهني عن الشعبي، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «**فإن أمتي يوم القيامة ثلثا أهل الجنة، إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة صفٍّ، وإن أمتي من ذلك ثمانون صفًّا**» المصنف في الأحاديث والآثار (٦/ ٣١٥)، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة، بلفظ: «**أنتم ثلثا أهل الجنة**»، قال أبو نعيم: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العربي، بيروت، ط/ الرابعة، ١٤٠٥هـ.

في المحشر من الوقائع، وما يكون في القبور قبل ذلك، عند أهل الكتاب، وما علم منه فإنه من خصائص هذه الأمة، ولله الحمد والمنة[١].

تعقيب: نذكر على كلام الإمام القرافي أمرين:

الأول: يلاحظ أن الإمام القرافي لم يشر إلى خلو التوراة من ذكر أحوال يوم القيامة، بل كل ما ذكره هو قلة ذكرها في كتب أهل الكتاب، وكان ينبغي على الإمام القرافي أن يبين موقف التوراة من ذلك؛ لأن خلو كتاب إلهي من ذكر أحوال الآخرة يلفت نظر آحاد الناس، فضلاً عن علمائهم ومقدميهم.

الثاني: أن الوجوه الأربعة -التي ذكرها القرافي- سبقه إليها القرطبي[٢]، ولكن ليس في معرض المقارنة كما فعل القرافي، بل في معرض الجواب عن خلو التوراة من ذكر ما يتصل بالدار الآخرة.

والقرطبي وإن نبه على خلو التوراة من ذكر ما يتصل باليوم الآخر، وذكر أوجهًا في سبب ذلك، إلا أن ما ذكره جاء مختصرًا، فصّله الإمام القرافي وزاد عليه.

وأيضًا: لم يقارن القرطبي بين شرعنا وبين شريعة بني إسرائيل كما فعل القرافي، تلك المقارنة التي أظهرت محاسن ديننا، ومكارم رسولنا، ومنزلة أمتنا.

وبعد: فقد بان أن ما ذكره القرافي أفصح وأشمل، وأن القرافي وإن تأثر بالقرطبي إلا أنه برزت شخصيته في حسن عرضه، وجميل إضافته.

والله أعلم

---

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٧٦) وما بعدها.
(2) الإعلام (٤٣٦، ٤٣٧).

obeikandl.com

المسلك الثاني
إنكار اليهود للنعيم الجسماني في الجنة
ورد القرافي عليهم

يعتقد اليهود أن في الجنة نعيمًا، إلا أنه روحاني، لاحظ للأجساد فيه، وكذلك العقاب روحاني لاحظ للأجساد فيه.

يقول ابن كمونة: «ونبغ منهم من زعم أن العالم الآتي هو ما بعد الموت فقط، وأن الثواب الأبدي والعقاب إنما هو للأنفس المجردة بعد خراب أجسادها، وليسا بجسمانيين، بل هما روحانيان فحسب، والنصوص الكثيرة المنقولة عن علمائهم، وحملة شرعهم، ناطقة بالمجازاة بالثواب والعقاب بغير عود الأنفس إلى الأبدان، وهي غير محتملة للتأويل عند كل عاقل يتأملها جميعًا»[1].

شبهة اليهود:

تمسك اليهود في إنكارهم النعيم الجسماني بشبهة مؤداها: أن المآكل والمشارب والمناكح، وغير ذلك مما يتعلق بالأجسام ينافي التمام والكمال الموصوفة الجنة بهما، فضلاً عن أن هذه أمور من خصائص البهائم، وذلك قولهم: «لو ثبت الأكل والشرب والنكاح في الجنة، مع أنها دار الكرامة العظمى، والمنزلة العليا لكانت محل الحاجات، وإبداء العورات، ومصب القاذورات، وذلك ينافي كمالها ويحرم تمامها.

ولذلك يأنف كثير ممن له أنفة ومروءة وأبهة الرياسة من الأكل بمشهد الناس، فإن تحريك الأشداق واختلاف اللهوات، وطحن الأضراس، وارتجاج الرأس عورة ظاهرة، ومنقصة بادية، ولذلك يستعد لها الناس في المنازل

(1) تنقيح الأبحاث (ص٢٧).

والخلوات، ويأنفون من وقوعها في الطرقات».

ثم يخاطبنا اليهود بما نسلم به فيقولون: حتى جعل من جملة قواعد الشرع أن ذلك مخل بالمروءات، ومسقط للشهادات، فدل ذلك على أنه من أفحش العورات، وإذا كان هذا في الأكل والشرب فالنكاح أولى؛ لأن فيه انكشاف العورتين، وذهاب الحرمتين، وارتفاع الحيائين، مضافًا لصب القاذورات في الفروج، وما يحصل من الفضلات المستقذرة بسبب الخروج والولوج.

ثم يقولون: ويكفي في نقائص هذه الأمور، أنها من خصائص البهائم المبعدة لطور الإنسان عن طور الملائكة، والمدخلة في حيز البهيمية، فإن الملك عقل بلا شهوة، والبهائم شهوة بلا عقل، والإنسان عقل وشهوة، فلذلك توسط بين الفريقين، وباين بوصفه كلا الجهتين، فإذا ظهر ما في هذه الأمور من النقص وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة المخصوصة بغاية النعمة، وتمام الكرامة[1].

جواب الإمام القرافي:

يجيب الإمام القرافي على ما ذكروه مبينًا أن ما يعتقده المسلمون من الجمع في الجنة بين النعيم الروحاني والجسماني، هو اللائق بالكرم الإلهي، والإحسان الرباني؛ لأن الاقتصار على النعيم الروحاني تقصير من قائله في سعة النعمة، وتمام الكرامة.

بل إن ما يعتقده المسلمون بجزم العقل الشريف بأن مثله لا تعرى عنه دار أريدت لغاية الإكرام، بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة في الجنة، لقال العقل الوافر: لو كان فيها هذه الملاذ لكانت أتم وأكمل، فالجنة التي يعتقد المسلمون

(1) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٧٢).

اشتمالها على النعيم الجسماني والروحاني أولى بقول الشاعر:

لـــيس فيهـــا مـــا يقـــال لـــه كملـــت لـــو أن ذا كمـــلا[1]

ثم سلك القرافي في رده مسلكين:

المسلك الأول: بين فيه أن سبب اللبس الذي أوقع اليهود فيما ذهبوا إليه، هو عدم فهمهم مقصود المسلمين من القول بالنعيم الجسماني، ولذلك حدد المراد باعتقاد المسلمين، وأنه ليس كما يعتقد اليهود مما يوهم النقص وينافي كمال الجنة وجمالها.

وذلك قوله: الملاذ الجسمانية في هذه الدار ترجع إلى واحدٍ من ثلاثة: فهي إما علوم خاصة حسية كإدراك الحلاوة، وأنواع الطعوم الملائمة، وإدراك الأرايج المناسبة لجوهر النفس البشرية، وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع، وإدارك المبصرات من الألوان والأضواء، وتفاصيل أنواع الحسن والجمال، وغيرها من المبصرات السارة للنفس، وكذلك القول في بقية الحواس.

وإما إدراك الأحوال النفسية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء، والإرواء ونحو ذلك.

وإما أسباب عادية كالمباشرة لأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك، ثم هذه المباشرة تقترن بها في العادة حاجات للمتناولات، وقاذورات تقترن بالمباشرات.

---

(1) البيت للحكم بن معمر المعروف بابن قنبر، قواعد الشعر، لثعلب (ص٧٥)، ت/ محمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ الأولى، ١٣٦٧هـ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٤/ ١٦٤)، ت/ سمير جابر، دار/ الفكر، بيروت، ط/ الثانية.

obeikandi.com

فالمسلمون يثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات فيقولون: الأكل والشرب والنكاح في الجنة من غير ألم، وجوع، ولا عطش، ولا بصاق، ولا مخاط، ولا بول، ولا غائط، ولا ريح منتن، ولا حيض، ولا مني، ولا رطوبات مستقذرة، ولا إبداء عورة منقصة، ولا زوال أبهه معتبرة، ولا شيء مما يعاب بنوع نقيصة، بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة الأكل بمباشرة أنفس المآكل من غير بصاق، ولا تلويث، ولا ألم جوع سابق، ولا شينٍ لاحق، وكذلك يحصل أعظم ما يكون من لذة الشراب عند مباشرة أشرف المشروبات من غير عطش، ولا حاجة سابقة، ولا تلويث لاحق، ولا شيء يعاب، وكذلك يحصل الجماع بمباشرة، أجمل الموطوءات من الحوريات والآدميات كل واحدة، منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها، وتحيرت عقولهم بجلالها، وبديع حسنها، وفايق محاسنها، ورائق تركيبها في جملتها وتفصيلها، مكسوة من الحلي والحلل ما أقله خير من ملك الدنيا وما فيها[1] قد نشأت في السعادة الأبدية، وهيئت للكرامة الإلهية، وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية، ومع ذلك فقد تناسب خلْقها وخُلقها، وطبعت على الميل من غير نفار، وعلى المحبة من غير ازورار[2]، ووصلت في محبة المؤمن وتعظيمه والأدب معه، وإظهار المسرة به،

---

(1) يشير إلى ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «... لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها -خمارها- على رأسها خير من الدنيا وما فيها» صحيح ابن حبان، ك: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: وصف الجنة وأهلها، حديث رقم (٧٣٩٨)، (١٦/ ٤١١).

(2) الازورار: الميل والبعد والعدول عن الشيء، يقال: عنق أزور؛ أي: مائل، وركية زوراء غير مستقيمة الحفر، وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿ تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ [الكهف: ١٧]؛ أي: تميل، ويقال: أرض زوراء؛ أي: بعيدة، وقد ازورَّ عنه ازوراراً؛ أي: عدل عنه وانحرف. يراجع: لسان العرب (٤/ ٣٣٣)، القاموس المحيط (ص٥١٤).

والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات، وتجاوزت في الحسن والإحسان إلى أقصى النهايات.

وللحسن والإحسان معنى ورونق إذا أمكن الإنسان بينهما الجمع. فنظرة إليها خير من جميع ممالك الأرض، وزورة[1] منها، وإليها تنسى مؤلمات يوم العرض، فيحصل من لذة جماع هذه ما هو لائق بهذا الطور العجيب، والرونق الغريب، من غير إنزال فضلات، ولا رطوبات مستقذرة، منزهة عن جميع الدناءات، بل كل حالة منها في غاية الرتب العليات، وكل جزء من أجزاء حسنها في غاية الشرف والجلالة، فلا عورة لها، ولا للمؤمن، ولا سوءة فيه؛ لأن العورة إنما تثبت في هذه الدار؛ لكونها مخرج النجاسات، والشعر والنتن والرطوبات، فإذا ذهبت هذه المعيبات المنقصات ذهبت بذهابها العورات، وبقيت المحال شريفة عليه لا ينسب إليها خصلة دنيئة[2].

وإذا وجهنا وجوهنا شطر علماء الأديان السابقين للقرافي نجد الإمام القرطبي وقبله أبا عبيدة الخزرجي ذكرا دليلاً على أن النعيم الجسماني حاصل في الجنة، اعتمدا فيه على التسليم بقدرة الله تعالى، وبصدق الرسل، ومضمون هذا الدليل أن العقل السليم لا ينكر ذلك، بل يسلم به؛ لأنه ليس في ذلك إلا أن الذي خلقنا أول مرة، ومكننا أن نتنعم نعيمًا محسوسًا، ونتألم ألمًا محسوسًا، قادر على أن يعيدنا بعد أن يفنينا كما بدأنا.

فإن الإعادة إنما هي خلق ثانٍ، ومن قدر على الخلق الأول قدر على الخلق الثاني، وهذا معلوم بنفسه، فهو إذن فعل ممكن في نفسه، ليس من قبيل الممتنع،

(1) الزورة: النظرة: يقال: ناقة زروة: أي تنظر بمؤخر عينها، لشدتها وحدتها، لسان العرب (٤/ ٣٣٣)، مادة: (زور).

(2) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٧٢- ٧٤).

والله تعالى قادر على كل ممكن فيجب وصفه بالقدرة على ذلك، فيبقى البعث وحشر الأجساد ممكنًا؛ لكونه من قدرة القادر.

إلى أن أخبرنا الذين قامت البراهين الضرورية على صدقهم، وهم الأنبياء، الذين أخبروا العالم بالبعث، وحشر الأجساد، وأحوال القيامة، فتحققنا من ذلك، فإذن لا شك في وقوع البعث، وفي التذاذ الأجسام التي ستحشر مع نفوسها، وذلك ما أخبر به الذي قامت البراهين الضرورية على صدقه، وأن الله تعالى بعثه نبيًّا من عنده، فتحققناه؛ لأنه قبل أن يخبرنا به الصادق كان ممكنًا عندنا، وعند غيرنا لما تقدم[1].

وإذا نظرنا في كتب اللاحقين للقرافي نجد الطوفي البغدادي يتخذ مما اعتمده اليهود دليلاً على النقص، وهو كون المناكح والمشارب والمآكل من خصائص البهائم، يتخذ من ذلك دليلاً على أن الملائم لبني آدم هو النعيم الجسماني والروحاني ليتواءم ذلك مع تركيبهم، وذلك قوله: «ومذهب المسلمين قاطبة: القول بالمعاد البدني، وإدراك اللذات الحسية والعقلية، ولذلك مناسبة حسنة، وهي: أن العالم على ثلاثة أضرب: عقل محض كالملائكة، وشهوة محضة كالبهائم، ومركب من الأمرين، وهما الثقلان، فالطرفان لا مشقة عليهم، أما الملائكة فلعدم الشهوة المعارضة لعقولهم، وأما البهائم فلعدم التكليف... فبنو آدم لما تعبدوا فيما بين العقل والشهوة، وجب بمقتضى هذه المناسبة أن يجمع لهم في الآخرة بين اللذتين العقلية بمقتضى العقل الذي عبدوا الله وعرفوه به، والحسية بمقتضى الشهوة التي صبروا على خلافها في طاعة الله سبحانه»[2].

---

(1) يراجع: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤١، ٣٤٢)، الإعلام، (ص٤٣٣).
(2) ينظر: الانتصارات الإسلامية، (ص٢٠٤).

المسلك الثاني: الاستدلال على النعيم الجسماني بنصوص من التوراة:

يذكر الإمام القرافي أدلة من التوراة تدل على أن في الجنة نعيمًا جسمانيًّا، كما أن فيها نعيمًا روحانيًّا، وهي كالآتي:

١- في السفر الأول من التوراة: «أن الله غرس فردوسًا في جنة عدن، وأسكنه آدم، وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل، شهية الطعم، وتقدم إليه: إني قد جعلت جملة شجر الجنة لك مأكلاً، سوى شجرة معرفة الخير والشر، ثم قال الله تعالى: لا يحسن أن يبقى آدم وحده، فألقى عليه سباتًا، ونزع ضلعًا من أضلاعه، ثم خلق له عوضه لحمًا، ثم خلق من ذلك الضلع حواء، فتزوجها آدم»[(١)]. يقول القرافي: فنصت التوراة على أن المأكولات في الجنة[(٢)].

٢- يذكر القرافي نصًّا من التوراة ولم يعلق عليه، لوضوحه فيقول في السفر الأول: «كانت سدوم قبل أن يخسف بها تشبه فردوس الله تعالى»[(٣)(٤)].

لليهود أن يقولوا: الجنة التي كان فيها آدم وحواء، والتي كانت سدوم تشبهها إنما كانت بستانًا من بساتين الأرض؛ إذا لا ينكر تسمية الجنة بستانًا. وهذا ما ندع القرطبي وأبا البقاء الهاشمي يجيبا عنه، كل بطريقته:

أما القرطبي: فيجيب بأنه ليس هناك نص قاطع يدل على أن الجنة التي يرجع إليها الناس يوم الجزاء ليست هي التي أسكن الله فيها آدم، بل التوراة

---

(1) الإصحاح (٢)، الفقرات (١٥- ٢٤).

(2) الأجوبة الفاخرة (ص٧٥)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤٤)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٤).

(3) تكوين، الإصحاح (١٣)، الفقرة (١٠).

(4) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٧٥)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٤).

محتملة لذلك، وأما كتابنا فيدل على أنها هي[(١)].

وأحسن من هذا ما ذكره أبو البقاء الهاشمي إذ يقول: فإن قالت اليهود ما حكيته عن التوراة من الجنة محمول على بستان من بساتين الدنيا.

قلنا: يا إخوان القرود، ومشاركي ثمود، إنما قالت التوراة: إن الله أسكن آدم فردوسًا في جنة عدن... فالله يقول: إنه فردوس في الجنة، وأنتم تقولون: بل بستان في الدنيا؟! ألم تسمعوا إلى قوله في بقية الكلام: إن الله كلمها وتهددهما، ثم صنع لهما سرابيلات من الجلود، وأرسلهما من جنة عدن إلى الأرض التي أخذ منها آدم؟[(٢)(٣)].

٣- في السفر الأول من التوراة: «أما هابيل الشهيد، فإنه يجزي بدل الواحد سبعة»[(٤)].

يقول القرافي: وهو دليل على أن المكافأة من جنس العمل، وكان قد قرب من أبكار غنمه، فوعده الله تعالى الواحد بسبع[(٥)].

٤- يقول القرافي: «في نبوة إشعياء -عليه السلام-: يا معشر العطاش توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس له فضة فليذهب يستقي، ويأكل ويتزود من الخمر واللبن»[(٦)].

---

(1) الإعلام (ص٤٣٥).
(2) تكوين، الإصحاح (٣)، الفقرات (١٧- ٢١).
([3]) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٦).
(4) تكوين، الإصحاح (٤)، الفقرة (١٥).
(5) الأجوبة الفاخرة (ص٧٦)، وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٤، ٢١٥).
(6) إشعياء، الإصحاح (٥٥)، الفقرة (١، ١٢).

يقول القرافي: «وهذا موافق لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥][(١)].

تعقيب: يلاحظ أن الإمام القرافي في مسلكه الأول رأي أن اليهود وقعوا في ضلالهم، لقياسهم أحوال الجنة على ما يألفون في الدنيا، فبين لهم حقيقة الأمر، وأنه نعيم ليس كنعيمنا، وهذا مسلك حسن، لو سلم اليهود ببعث الأجساد، ولكن على ما يبدو لي أن اليهود لا يسلمون ببعث الأجساد -كما هو واضح من كلام ابن كمونة السابق-، ولذلك كان على الإمام القرافي أن يجعل جوابه ذا شقين يقيم الحجة على بعث الأجساد، وعلى النعيم الجسماني معًا، كما فعل أبو عبيدة الخزرجي والقرطبي -كما تقدم- وأيضًا الإمام القرافي في هذا المسلك، كان يحتاج إلى مثالٍ من الواقع؛ مخاطبة لليهود بما يألفون فمثلاً:

هناك أكل وشرب بدون حاجة، كأكل الشبعان، وشرب الريان، وهناك نكاح بدون ولادة، كنكاح العواقر، كل هذه الأمثلة، كانت تضيف إلى دليل القرافي قوة إلى قوته، وجمالاً إلى حسنه.

وأما في مسلكه الثاني: فقد أصاب الهدف من أخصر طريق، وربط في الدليل الرابع بين كتابهم وكتابنا، وتلك لفتة طيبة، تجعل المؤمن يزداد إيمانًا، وتجعل أهل الكتاب في غير ارتياب.

والله أعلم

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧٦)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤٨)، الإعلام (ص٤٣٦).